١٨٢

سلوان المطاع

محمد بن ظفر
المكي

ن

Copyright © King Saud University

٢١٨
س ظ

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

٢١٨
ظ

سلوان المطاع في عدوان الاتباع، تأليف محمد بن عبد الله،
ابن ظفر الصقلي -٥٦٥هـ. خط سنة ٦٥١هـ.
٩٥ ق ١٣ س
٢١×١٥سم
نسخة جيدة، نفيسة، السلوانات بماء الذهب، طبع.
١٩٢ الاعلام ٧ : ١٠٧، الأزهرية ٣ : ٥٨٥
١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- ابن ظفر، محمد بن عبد الله -٥٦٥هـ ب- تاريخ
النسخ
ج- السلوانات.

كتاب سلوان

المطاع في عدوان الاتباع

تصنيف الشيخ الفقيه الامام

حجة الدين ابي عبد الله

محمد بن محمد بن ظفر

المكي عفى الله عنه

آمين

وقف لله تعالى هذا الكتاب

طالعه ... متأملا لمعانيه

داعيا لمالك الكتاب بالبقا وعلو الارتقا

كتبه الحقير خضر بن ... المساعدي المالكي

في العشر الاوسط من شوال

سنة ٩٩...

مخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه محمد بن ابي محمد بن ظفر
عفى الله تعالى عنه ان شكر الله سبحانه لابس الملابس
الفاخرة وان حمده لاعود بجني الدنيا وخير الاخرة
فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب
في المكروه كمينا الذي ضرب دون اسرار الاقدار
حجابا مستورا وقضى ان الخير على القطن حجرا محجورا
واوطا المستسلمين لمشاياه ممهودا وثيرا وامطا
المتبرمين بكباياه كنودا عثورا وقال سبحانه
فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا سيدنا المصطفى وسلم تسليما
كثيرا وبعد فان مما اقتضاني اليه اضطراب الاغتراب وانتياب

الاكتياب

الاكتياب ان اطرفني الله سبحانه وله الحمد بمواخاة مقيل
عثرات السادات السراه ومستقيل انفس الحمد حسرات
ساير السادة وقايد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي القسم
بن علي بن علوي القرشي بارك الله له فيما الهمه كسبه وكان
وليه وحسبه فلقد اثرت له الشبيبة كمنزلتها وكوشف
بتركه لها فعمل للبقاء لا للفناء وجمع للجود لا للغناء
وحاد لله لا للثناء واخى للتعاون على البر والتقوى لا للتمادي
في هوى الهوى وزان الرياسة بنفس لا تضيق بنازله ذرعا
ولا تصغي الى الوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طبعا وحلم لا يرفع
الغضب له به راسا وحزم لا يخاف الا بالله معه باسا فالحمد
لله الذي [illegible] اخا به حمى [illegible] وحرما امينا ومرعى
مريا ووردا معينا

شعر

حمى بفر ربه فيما اشتهينا وما احسنها واحسن او ...

بيقينا ما نعاف وان ظننا به خيرا اراناه يقينا ۝
نميل على جوانبه كانا اذا ملنا نميل على ابينا ۝
واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي ۝ وحق مرعي لاقرت
عينه بطي ما نشرت ۝ والتوريه عما اليه اشرت ۝ اذ كان
وفاني الله بعده ۝ ولا ابقاني بعده ۝ بل ان الشكر في وجوه
الايه مندوب ۝ والمدح من خواص اوليايه ذنوب ۝ فلا زالت
به النعم قوله ناصره ۝ وخطا الشوايب عنه قاصره ۝ ومكانه
العلايه فاخره ۝ ومكانة الاعداء عنه داخره ۝ امين
امين امين ۝ وصلى الله على سيدنا محمد الامين ۝ وعلى آله
وصحبه الاكرمين ۝ وسلم عليه وعليهم في العالمين ۝
ولما كانت الهدايا تعضد الشكر وتزرع ... عنده
الحب وتضاعفه ۝ احببت ان اهدي اليه هديه فاتحفه برقعة

الذي شغفه حبا ۝ والحكمة التي لم يزل بها صبا ۝ والادب
الذي استوعبه مولدا وكسبا ۝ واستعمره طلبا وقلبا ۝
فاتحفته باساليب الغايه في احكام آيه ۝ وهو كتاب ضمنته
احد عشر اسلوبا تقضي نسبا لكلها الى العلم بالظاهر ۝ والمستنبط
من قول الله سبحانه ۝ يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الايه ۝ ثم شفعته بالمسمى لاستشفاف المعونه
والاشراف ۝ وهو كتاب استوعبت به مسايل ذلك الا اليسير الرفيق
مشفوعة بحجب اهمها ثم عززتهما بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت
به درر انتخبا الانباء فاودعته منها ما عز مطلبه ۝ وبهرت
حكمته وحسن ادبه ۝ ثم ربعت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت
فيه الى امثله استاثرت بها خواص الملوك بصناعتها وسعة الحجه
عليها من ذاعتها ۝ فتوسعت للمنقبه بالفاظي عنها ۝ والحجب
تعلي لها ۝ والنفس بقوى فطنتي فيها توسع الا الخطر شرعي ۝ ولا

ينبو عنه سمع ○ حتى اذا عادت اهلتها بدورا رابعة واضت
ودبها عمانا يانعة ○ نفثت في صورها ارواح الاخلاق الزكية
وكسوت جسومها الاداب الملوكية ○ وتوجت روسها بتيجان
الهمم الابية ○ وقلدت عواتقها سيوف المكايد الحربية
وصدرتها باي من القران الحكيم ○ واحاديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ○ الى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها
وابكار الاداب وعونها ○ فبرزت روضة للقلوب
والاسماع ○ وريانة للعقول والطباع ○ وسميتها سلوان
المطاع ○ في عدوان الاتباع ○ والسلوان جمع سلوانة
وهي خرزة تزعم العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحبوب
سلا ○ قال الراجز
لو اشرب السلوان ما سليت ○ ما بي غنى عنك وان غنيت
فهي خمس سلوانات ○ السلوانة الاولى في التفويض ○

السلوانة الثانية في التاسي ○ السلوانة الثالثة في الصبر
السلوانة الرابعة في الرضى ○ السلوانة الخامسة في الزهد
وانا ارغب الى الله سبحانه في الامداد بالسداد ○ والارشاد
الى نفع العباد ○ فبه الحول والمنة ○ وله الطول والمنة ○

السلوانة الاولى وهي سلوانة التفويض

قال الله ربنا تقدس اسمه ○ فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ○ وقال تقدس اسمه وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ○ وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ○ فاستنوف من
عقل امره عن الاقتراح عليه ○ وافهمهم ما يرضاه من
التفويض اليه ○ والعاقل تارك الاقتراح ○ على العالم بالا
وجه إلهام الانبياء الى التفويض منهم ابن التنبيه انه

إذا كان المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه فالأولى
بذي البصيرة أن لا يأمن المضرة بالمسرة ۝ ولا ييأس من المسرة
بالمضرة ۝ فيستخير الله سبحانه ولا يتحكم عليه وهذا
من التفويض المستثمر من الله سبحانه صرف البلاء واللطف في مكروه
القضاء ۝ وبهذا عامل الله سبحانه مؤمن آل فرعون حين فوض
أمره إلى الله ۝ وذلك ما بلغنا أنه كان من ذوي قرابة فرعون
وخواص أصحابه ۝ وكان وزراء فرعون وبطانته قد ظنوا إيمانه
واتباعه موسى عليه السلام ۝ واطلعوا فرعون على ذلك فلم
يصدقهم وعطفته على ذلك المؤمن القرابة ۝ ولما ظهرت
آيات الله سبحانه على يدي موسى عليه السلام ۝ وعجز فرعون
جمع وزراءه وبطانته بحضرته وفيهم ذلك المؤمن فشاورهم
في أمر موسى عليه السلام ۝ فاتفقوا على الرأي مطاولة موسى
عليه السلام وجمع السحرة لمقاومته وكان رأي فرعون معاجلة

موسى عليه السلام بالقتل وبذلك أخبر ربنا جل ثناؤه ۝ قالوا
أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم
الآية ۝ وقال عز من قائل وقال فرعون ذروني أقتل موسى
الآية ولما اطلع وزراء فرعون على رأيه في موسى عليه السلام
أمسكوا عن مراجعته هيبة منهم له وأشفق ذلك المؤمن
أن يبطش فرعون بموسى عليه السلام ۝ فقل صبره وضاق بسره
صدره فقال ما أخبر الله تعالى عنه ۝ أتقتلون رجلا أن يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ۝ ثم كأنه استقال
وراجع التورية والتقية والحذر فقال ما أخبر الله تعالى
عنه وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم ۝ فلما سمع فرعون مقالته غضب وأمر بسجنه ۝
وشاور بطانته ووزراءه في أمره فأشاروا أن يبسط عليه العذاب
ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رأيه فكره ذلك فرعون وعطفته

عليه القرابة وامر وزراءه ان يصيروا الى ذلك المؤمن فيعظوه
وينصحوه ويأمروه بمراجعته عما كان عليه من الطاعة
ويخوفونه عاقبة خلافه ففعلوا ذلك ولما سمع المؤمن
مقالتهم دعاهم الى الله واذكرهم ما عاينوه من الآيات
وحذرهم زوال نعمة الله عنهم وحلول مكره بهم وكان منه
اليهم ما اخبر الله عز وجل عنه في قوله تعالى ⊙ ولقد جاءكم
يوسف من قبل بالبينات الآية ⊙ وقوله يا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد الآية ⊙ وقوله يا قوم ما لي ادعوكم الى
النجاة وتدعونني الى النار الى قوله فستذكرون ما اقول
لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ⊙ فعاد القوم
الى فرعون واخبروه عن المؤمن بتهوينه على المشاقة والمنابذة
والعصبية لفرعون ان النصيحة لا يرده الا تماديا على امره
فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا في امره

فاتته ابنته وسألته عن امره فاخبرها به واطلعها عليه فقالت ⊙
له ان عندي الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي
قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما رأى موسى قد امتنع بالسلطان ⊙
الذي في عصاه وان قتله مجاهرة غير متمكن تظاهر بما انكرته عليه
ليخدع بذلك موسى ويتمكن من مخاتلته وقتله غيلة فكلما رأيت
وسمعته انه مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراءك على ذلك
حين ذهبوا اليه الا انهم اهل تهمة وحسد وبغي وغدر لم يطبعوا على
مثل وفائه ونصحه فسر فرعون بمقالتها والقى الله تعالى في نفسه
تصديقها ⊙ فيقال ان آسية امرأة فرعون هي التي امرتها بذلك
فاحضر فرعون ذلك المؤمن واعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت
ما قصدت له وما انت ساع فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل
ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك ⊙ قال الله تعالى فوقاه
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب فهذه

www.al-mostafa.com

الوقاية ثمرة التفويض ⊙ ثم قال ربنا تقدس اسمه وحاق
بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك المؤمن
من التعذيب وان كان عذاب الآخرة لا يجتمع مع عذاب الدنيا
الا في الاسمية وهذا كقوله سبحانه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله
واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة التفويض هو التسليم لاحكام
الحكيم الذي دل عليه الله مصطفاه صلى الله عليه وسلم ⊙ بقوله
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فامر التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لا يكون من
الخير ومن الشر شيء الا ما اراد الله كونه ⊙ ولا يصح التفويض لمن لا
يعتقد ذلك ويدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والحث عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك
ما قدر يكن وما لم يقدر لم يأتك ⊙ واعلم ان الخلق لو جمعوا
ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك

ولو جهدوا وان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا وعلى
ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما
قدر يكن الى آخر الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض العقلا
وسلموا الى الله تعالى ونحو ذلك مما رويناه في مسند مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم ⊙ قال لابي هريره في كلام قاله له وان
اصابك شيء فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله
وما شاء الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فدله على التفويض الى الله
عز وجل والتسليم لامره ونهاه عن قول لو لما كانت منافية للتفويض
الى الله عز وجل وتقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع مشيئته ⊙
ومما رويناه عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك
الايمن ثم قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك
والجات ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا

إليك ما منت بكتابك الذي أنزلته وبنبيك الذي أرسلته الحديث ۝

أسجاع وأبيات حكمية في التفويض

معارضة العليل طبيبه توجب تعذيبه ۝ إنما الكيس الماهر
من استسلم في قبضة القاهر ۝ إذا كانت مغالبة القدر مستحيلة
فمن عوائق نفوذه الحيلة ۝ إذا التبست المصادر ففوض الأمر إلى القادر
إن من الدلالة على أن الإنسان مصرف مغلوب ۝ ومدبر
يتبلد رأيه في بعض الخطوب ۝ ويعمى عليه الصواب المطلوب
فإذا كان ذلك كذلك فإن تهوره في تدبيره ۝ وا[illegible]
أجنبا له ۝ وهلكته في حركته **فصل** كان الحجاج بن يوسف إذا
تعارضت عليه آراؤه في خطب من الخطوب أنشد هذا البيت ۝
دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها برأي منك منكوس

وفي ذلك قلت

أيا من يعول في المشكلات على ما رواه وما دبره ۝

إذا أشكل الأمر فأت به إلى من براه منه ما لم تره
تكن من عطف يقيك المخوف ولطف يهون ما قدره
إذا كنت تجهل عقبى الأمور وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العنا وعلام الأسى وفيم الحذار وفيم الشره

وقلت في ذلك أيضا

يا رب مغتبط ومغبوط برأي فيه هلكه
[illegible] في ملك ما يطغيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر وليس يرام هتكه
ومعارض الأقدار بالآراء يثني الحال ضحكه
فكن امرأ محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدور شركه

نفحة رائقة ورياضة فائقة

لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك أن ابن عمه يزيد بن الوليد

بن عبد الملك فقل أوغر عليه الصدور وشرد عنه القلوب واستجاش
الجن ونازعه ركن ملكه ساعيا في هلكته أستوحش من بطانته
واحتجب عن سماره وادعا في عشية من عشايا وحشته خادم
له وقال له انطلق مستنكرا حتى تقف ببعض الطرق
وتأمل من يمر بك من الناس فإذا رأيت كهلا قد رثت هيئته
والملبس يمشي مشيا هونا وهو مطرق فسلم
أدنه إن أمير المؤمنين يدعوك فإن أسرع
وإن تلكا واستراب أو عارض بدعه واطلب غيره حتى
برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه
برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على الوليد بن يزيد
حياه بتحية الخلافة وقام فأمره الوليد بالجلوس والدنو وأمهله
إلى أن ذهب روعه وسكن جأشه ثم أقبل عليه وقال له
أتحسن مسامرة الملوك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين أحسنها
فقال

فقال له الوليد إن كنت تحسن المسامرة فأخبرنا عنها ما هي فقال
الكهل المسامرة أخبار المنصت وانصات المخبر ومفاوضة فيما
يعجب ويلهي ⊙ فقال الوليد أحسنت أيها الرجل لا أزيدك امتحانا
فقل ننصت لقولك ⊙ فقال الكهل يا أمير المؤمنين إن المسامرة
صنفان لا ثالث لهما أحدهما أخبار بما وافق خبرا مسموعا والثاني
أخبار بما وافق غرضا مفرحا ⊙ وإني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين
حديثا فأحذو على مثاله ولا أفرح على أمير المؤمنين سلوك
طريقة فأنحو نحوها وألزم أسلوبها ⊙ فقال الوليد صدقت
وها نحن نقترح لك ونرسم لك رسما تقتفيه ⊙ أنا بلغنا
أن رجلا من رعيتنا سعى فيما يهضم ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك
علينا فهل لنا في ذلك إلى عملك فقال الكهل نعم ⊙ فقال له الوليد فقل
الآن على حسبما نمي إليك منه وعلى حسبما ترضى بالتدبير فيه
فقال الكهل يا أمير المؤمنين إنه بلغني أن أمير المؤمنين عبد الملك بن

مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
إلى مكة حرسها الله استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان
عمرو قد انطوى على دغل نيته وفساد طويته وطماعيته في نيل
الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك قد فطن لذلك إلا أنه يتقي
عليه لتأكد حرمته وأواصر رحمه فلما فصل أمير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها أياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد
فاستأذن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان في العود إلى دمشق
فأذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد على المنبر فخطب الناس
خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس إلى خلعه فأجابوه إلى
ذلك وبايعوه واستولى على دمشق وحصن سورها وحمى عورتها
وسد ثغورها وبذل الرغائب ⊙ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان
وهو متوجه إلى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والي حمص نزع يده
من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا الخلاف عليه فخرج على

وزرائه وفي يده مخصرة يضرب بها عطفيه فأطلعهم على ما بلغه
وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمرو
بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق
واليمن ومصر وخراسان ⊙ وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر
ابن الحارث أمير قنسرين ⊙ ونابل بن قيس أمير فلسطين قد نزعوا
أيديهم من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف أهل
الثغور للخلاف ⊙ وهذه المفرية يسوقونها على عواتقها نطالبنا
بفتنة المرج ⊙ فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا
أن لا مفر ولا مقر فنكسوا رؤوسهم ولم ينطقوا بحرف واحد
فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون أحضروني غناكم فهذا
وقت الحاجة إليكم فقال له أفضلهم رأيا أي غناء عندنا في
هذا أو ذاك والله إنك تسعى على عود من أعواده لم تقف حتى
تنقضي هذه الفتن قال عبد الله الحرباء دابة صغيرة طولها

أقل من الشبر لها قوائم اربع ورأس كشبه راس العجل اذا طلعت
عليها الشمس قامت على عود او جحر قومة او حجر ثم استقبلت
الشمس ببصرها وتضرب بلسانها ○ كما يفعل من يسوق حمارا
فلا تزال كذلك حتى تزول الشمس فتستدبر الحرباء فتقابلها ببصرها
وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها فاذا غربت ذهبت
الحرباء تبتغي ما تاكله ليلته كلها حتى اذا طلعت الشمس عادت
لفعلها فينبغي لهذا الرجل ان يكون حرباء على عود فرارا من تلك الفتن
قال الكهل ولما سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم ان لا غناء عند
رأيه فقام عنهم وامرهم بلزوم مواضعهم وركب من فوره منفردا
وامر جماعة كثيفة من شجعان اصحابه وفرسانهم فركبوا في السلاح
وتبعوه متباعدين بحيث يرون اشارته ان اشار اليهم فعلوا
وسار عبد الملك وتبعه القوم على ما رسم لهم فلم يزل سائرا حتى
انتهى الى شيخ ضعيف البدن سيئ الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه

عبد الملك

١١

عبد الملك واستمع حديثا خفيفا ثم قال له ايها الشيخ الك علم
بمنزل هذا العسكر فقال الشيخ بلغني انهم نزلوا بموضع كذا وكذا
فقال له عبد الملك فهل سمعت شيئا مما يقول الناس في امره
فقال الشيخ ما سؤالك عنه ○ فقال عبد الملك اردت اللحاق
به والدخول في اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما
معناه اني اراك اديبا وصبيا واني احسبك حسيبا نسيبا فهل لك
ان انصح لك فيما انت قاصده ○ فقال عبد الملك ما احوجني
الى ذلك فقال الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الرأي
الذي ترغب اليه فان الامير الذي انت قاصده قد انحلت عرى ملكه
وتبدد اتباعه واضطربت اموره وان السلطان في حال اضطراب
اموره كالبحر في حال هيجه لا ينبغي ان يقرب فقال عبد الملك
ايها الشيخ ان الحكمة لم تبلغ بي مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه
واني لاجدها تنزع لصحبة هذا الامير نزاعا شديدا ولا بد لي من

ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامر
في تدبير هذه الخطوب التي دهمتني لاعزم ذلك الراي عليه
واتفق به عنده فلعله ان يكون سببا لفرجي منه
فقال الشيخ ان حكمة الله وقدرته لتقتضيان تحير العقول
والاراء عن المعهود في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة التي
نزلت بهذا الامر من النوازل التي لا تستقل فيها العقول ولا تهتدي
الى صواب تدبيرها الراي واني لاكره ان ارد مسالتك بالخيبة فها انا
اقول فيما سالتني عنه قولا افتي به حق رغبتك وان كنت لا اثق
بنفسي فيه لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهي عظمه
فقال عبد الملك فل جزاك الله خيرا ⊙ فاني ارجو الله ان يسدد ك
رشدك ويرشدني بك الى الفلاح ⊙ فقال الشيخ ان هذا الخليفة
خرج الى قتال عدوه فظهر من مشيئة الله سبحانه انه لا يريد ما
قصده والدليل على ان الله لم يرد قصده لمحاربة ابن الزبير انه
قطعه

قطعه عن التمادي لما احدثه في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد
على منبره واستفساد رعيته واستيلائه على بيوت امواله وسرير
خلافته واني مشير عليك بتفقد حال هذا الامر وانتظار ما يكون منه
فان رايته قد تمادى فيما خرج له واصر على قصده لابن الزبير فاعلم انه
مخذول فاجتنبه وانما كان مخذولا لان الله سبحانه قد اظهر له من حكمته
امرا يقتطعه عن التمادي لما خرج له فابى الا لجاجا وان رايته قد رجع
من حينه وترك ما كان قصده وخرج اليه فارج له السلامة
فانه مستقبل مراجع والله سبحانه اهل ان يقبل من استقاله ويرحم
من رجع اليه ⊙ فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الى دمشق
الا كمسيره الى ابن الزبير اذ كان قد ظهر من مشيئة الله وقدرته ان
تنزع عنه قلوب رعيته التي بدمشق عن موالاته وتسلط ايديهم
بالبيعة لغيره فمسيره الى ابن الزبير كرجوعه الى عمرو بن سعيد لان
كل واحد منهما حصل على مملكته متبعة ورعيته مطيعة فقال الشيخ

إن الذي أشكل عليك لبين لو اتضح وها أنا أزيل عنك اللبس إن عبد الملك
إذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لأن ابن الزبير لم يعطه
طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو إذا قصد عمرو بن سعيد
كان في صورة مظلوم لأن عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان أمانته
وأفسد عليه جنده وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملك
لم يكن له ولا لأبيه بل كانت لعبد الملك ولأبيه من قبله وعمرو بن
سعيد عليها معتد ولها مغتصب

وإنه كان يقال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول
وكان يقال جيش العدوان مفلول وعرش الطغيان مثلول وسأضر ب
لك في ذلك مثلا يشفي النفس وينفي اللبس ويودعه من فهم الحلم
ما يشحذ الفطن والألباب ويسفر عن وجه الصواب ⊙

زعموا أن ثعلبا كان يرعى ظالما وكان له جحر يأوي إليه وكان
مغتبطا به لا يبغي عنه حولا فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد حية

في جحره فانتظرها فلم تخرج عنه فعلم أنها قد استوطنته وذلك
أن الحية لا تتخذ جحرا وتدخل الجحرة فتغتصبها وتطرد عنها ما فيها
من الحيوان ⊙ قال الراجز يصف رجلا بالظلم ⊙

شعر

وأنت كالأفعى التي لا تحتفر ⊙ ثم تجي سادرة فتنجحر ○

ولهذا قالوا فلان أظلم من حية ⊙ فهذا ظلمها **ولما رأى** الثعلب
أن الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب لنفسه
مأوى فانتهى به التطواف إلى جحر حسن النظام حصين الموضع
في أرض خصبة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه
فأخبر أن ذلك الجحر لثعلب يدعى مفوظ وأنه ورثه عن أبيه فناداه
فخرج إليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عما قصد له فقص
عليه خبره وشكا إليه ما ناله ثم أقبل عليه ⊙ فقال له إن من
الحمية أن لا تقصر عن مطالبة عدوك وأن تستفرغ جهدك في
ابتغاء دفعه وهلكه ⊙ وإنه كان يقال من تهيب عدوه فقد

جليس لي بنفسه جليسًا ۝ وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة
وكان يقال الدون في طلب الثار خير من الجباه في العار وكان
يقال اذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه
عنك واذا طلبته بالحيلة فلا يعظمن امره عندك وان كان عظيما
والراي عندي ان تنطلق بي الى ماواك الذي انتزع منك غصبا حتى
اطلع عليه فلعلي اهتدي الى وجه مكيدة في تمكينك منه فان
افضل الراي ما استتب على الروية ولهذا قيل يفسد التدبير بثلثة اسباب
احدها ان تكثر الشركة فيه فاذا كان كذلك انتشر التدبير وبطل
والثاني ان يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متنافسين
فيدخله الهوى والبغي فيفسد ۝ والثالث ان يملك التدبير
من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا كان ذلك
كذلك دخله فقد المباشر الحاضر وفوت الفرص ۝ ثم ان تدبير
المسموعات مما يستمر على ظنون الخبر ۝ وتدبير المجربات مما يستمر على

يقين

يقين النظر فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتامله مفوض وعلم ما
اراد علمه ثم اقبل على ظالم فقال له قد شاهدت من امر مسكنك
ما فتح لي باب المكيدة وسفر لي عن وجه الراي ۝ فقال ظالم اطلعني
على ما ظهر لك فقال مفوض ان افضل الراي ما اجادت
الفكرة نقده ۝ واحكمت الروية عقده ۝ وان اضعف الراي
ما سنح في البديهة وكان يقال الراي مراة العقل فمن اراد ان
يرى صورة عقله فليستشره وكان يقال الراي سيف العقل
ولما كان امضى السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان
انجح الاراء ۝ ما كثر امتحانه واطيل تامله وتامل وكان يقال كل راي لم
تمخض الفكرة فيه ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ۝ ثم قال له
انطلق معي بت الليلة عندي فانظر ليلتي هذه فيما سنح لي من المكيدة
ففعلا وبات مفوض مفكرا في ذلك وجعل ظالم يتامل مسكن
مفوض فراى من سعته وطيبة تربته وحصانته وكثرة

مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه و[illegible] بدء الحيلة
في غصبه وبثي مفوض عنه **وكان يقال**
اللئيم كالنار اكرامها اضرامها ⊙ وكالخمر حبيبها سالبها ⊙
وتبيعها صريعها **وكان يقال** اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الا   حسان
دفعا **وكان يقال** العاقل يقدم التجربة على التقريب ⊙ والاختبار
على الاختيار ⊙ والثقة على المقة **فلما** اصبح قال مفوض لظالم
يا سيدي اني رايت ذلك الحجر بعيدا عن الشجر فاصرف نفسك
عنه وهلم اعينك على احتقار حجر غيره بهذا المكان الشبيه الموافق
فقال له ظالم ان ذلك لا يمكنني لان لي نفسا تهلك لبعد الوطن
حنينا ⊙ ولا تملك لفقد السكن سكونا **وانه كان يقال**
دلائل الوفاء تشييع بر الاباء والامهات ⊙ وصلة ذوي القرابات ⊙
والنزاع الى الوطن ⊙ والجزع على فقد السكن ⊙ والحزن لاخلاف ⊙
الشباب والتلبس لاخلاق الشباب ⊙ والصبر على هرم الدواب ⊙
وان

وانه كان يقال الغربة بين الاحباء قد اعاده البين اثرا بعد
عين وقيل ان حروف الغربة مجموعة من اسماء دالة على محصول
اسم الغربة فالغين من غدر وغيبة وغم وغبن وغلة وهي حرارة
الحزن وغيرة وغول وهي كل شيء مهلكة ⊙ والراء من رزء وردى
وهو الهلاك ⊙ والباء من بؤس وبلوى وبرح وهي الداهية
وبوار وهو الهلاك ⊙ والهاء من هول وهم وهلك وهون ⊙ فلما
سمع مفوض مقاله ظالم وما تظاهر به من الرغبة في وطنه
قال له اني ارى ان نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربطه
حزمتين واذا اقبل الليل انطلقنا الى بعض هذه الخيام واخذت
قبس نار واحتملت الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك
فجعلنا الحزمتين على بابه واضرمناهما نارا فان خرجت الحية
احترقت وان لزمت الحجر اهلكها الدخان فقال ظالم نعم الراي
هذا فذهبا واحتطبا من الحطب حزمتين بقدر ما يطيقان

[illegible]

حملهما ولما جاء الليل واوقد اهل الخيام النار انطلق مفوض
لياخذ قبسا فعمد ظالم الى احد الحزمتين فازالها الى موضع غيبها فيه
ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض وادخله وجدها اليه
فادخلها في الباب فسده بها وقدر في نفسه ان مفوضا اذا اتى
الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته وان بابه مسدود بالحطب
سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه ان يجاهر فاذا ايس منه ذهب
ينظر الى غيره ماوى وكان ظالم راى في مسكن مفوض طعمة ادخرها
لنفسه فعول ظالم على الاقتيات بها في مدة الحصار واذهله الشره
والحرص والبغي عن فساد هذا الراي وانه متعرض لما عزم مفوض ان
يفعله بالحيلة **ولذلك كان يقال** احترس من تدبيرك على عدوك
كمثل احتراسك من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر ومكر
وساقط في البئر التي احتفر وجريح بالسلاح التي شهر
ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن ان

ظالما قد احتمل الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما نحو
جحره اشفاقا ان يابى مفوض يحمل احداهما فشق ذلك عليه وظهر له من
الراي ان يترك القبس ويبادر اليه ليلحقه فيحمل الحطب معه فالقى
القبس بين يديه ثم كره ان يفقده الريح فيحتاج الى طلب قبس اخر
فادخله في باب الجحر ليستره بذلك فاصاب الحطب فاضرمه نارا
واحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره ۝
فلما اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحا
اكثر عمله في حامله ۝ ولهذا قيل الباغي يصرعه خفية
بطلقه ومتردد في مهاوي تدبيره مساوي تدبيره وقيل ما
اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا ۝ وقيل لكل عاثر راحم الا
الباغي وان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ۝ وقيل ما
اعطي البغي احدا شيئا الا واخذ منه اضعافه ۝ ثم ان مفوضا
امهل حتى طفئت النار فاخرج جيفة ظالم فالقاها واوطا

مجرة على حال الحفظ واحتراس من كيد الكايدين ◉ فهذا مثل عمرو
بن سعيد في تعبئته ومخادعته عبد الملك ومخالفته الى دار ملكه
وتحصينه فيها ◉ وكان عبد الملك في مخرجه لابن الزبير عاملا
فيما يوديه شره عمرو بن سعيد وبقا الملك في اهل بيته وخروجه
عن ابن الزبير اذ كان عزم عبد الملك عزل عمرو بن سعيد وملكه ملكا
له فلم يرض عمرو سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل كفعل
ظالم مع مفوض سوا فلما سمع عبد الملك ما ضرب له الشيخ
من المثل واستبصر فيما اودعه من الحكم سر بذلك سرورا عظيما
واقبل على الشيخ وقال له جزيت خيرا فقد عظمت بذلك عندي
واني لاوثر ان اجعل بيني وبينك موعدا او تذكر لي مكانك لالقاك
به بعد يومي هذا ◉ قال الشيخ وما الذي تريد بذلك
فقال له عبد الملك اني اومل ان اشفع برايك عند الامر فاكافيك
على ما كان منك فقال له الشيخ اي اعطيت الله عهدا ان لا

احمل

احمل منه لجميل فقال عبد الملك من اين علمت خطى ايها الشيخ فقال
لم لا اعلم خطك وقد ارجات صلتي ومكافاتي مع القدرة عليها وعلى تعجيلها
فما عليك لو وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة
السنية ◉ فقال عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع
سيفه وقال اقبل مني سيفي هذا ولا تخدع عنه فان قيمته
عشرون الف درهم فقال الشيخ اني لا اقبل صلة ذاهل فدعني
وربي الذي لا يبخل ولا يذهل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك
مقالته علم فضله في دينه وقال له اني انا عبد الملك فاعهد بي
وارفع الي حوايجك فقال له الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم
نرفع حوايجنا الى من انت وانا له عبدان ◉ وانطلق عبد الملك
فعمل برايه فانجح الله تعالى عمله فلما سمع الوليد ما اخبره
به ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف اداته وساله عن
نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحيا منه وقال

إن من حمل مثلك في رعيته لمضيع ⊙ فقال الكهل يا أمير المؤمنين
إن الملوك لا تعرف الأمن تعرف إليها ولزم أبوابها ⊙ فقال الوليد
كلا لا توسعنا عذرا لا نستخفه ثم أمر له بصلة معجلة وعهد
إليه في ملازمته عهدا فكان يستمتع بآدابه وحكمته إلى
أن كان من أمر الوليد ما هو مشهور

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل لما عزم محمد الأمين على إخراج عهد الخلافة عن أخيه
عبد الله المأمون والمأمون إذ ذاك بخراسان كتب له الأمين كتابا
يذكر له فيه حاجته إلى قربه ومفاوضته في مهم حدث وسأله أن
يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص إلى بغداد ⊙ وكتب إلى
المأمون عيونه الذين ببغداد أن الأمين يريد خلعه من عهد الخلا فة
ونقل عهده إلى موسى ابنه فلما وقف المأمون على ما كتب به أخوه
إليه وعيونه شاور وزراءه فأشاروا عليه بالتثبت والتعلل والتمد ار

لتشعب خراسان وتطلع من يليها من الكفار إلى الفرصة فيها وأنه
لا يجد من يثق بكفايته لأمرها فكتب المأمون إلى الأمين بذلك
فعاود الأمين مكاتبته يستحثه وأنه لو قدم عليه لقل لبثه
ببغداد حتى يرجع وإنما يريده كي يفاوضه في أمر جسيم لا تودع
مثله الكتب فحين انتهى كتابه إلى المأمون أطلع وزراءه أيضا واستشار هم
فأشاروا عليه بمثل رأيهم الأول فكتب إلى الأمين بنحو ما كتب به إليه
أولا وكتب إلى الأمين عيونه الذين بخراسان أن المأمون قد فطن
لما يراد منه وأنه ممتنع متشاق وأن وزراءه قد أجمعوا على أمره
في الامتناع فيئس الأمين من تمام مكيدته بأخيه وأمر بالقبض على
من ببغداد من حشم المأمون وبطانته وما ظهر عليه من أمواله
وبلغ ذلك المأمون فخامره الجزع وشاور وزراءه فثبتوه على أمرهم
وحضوه على التثبت وانتظار الفرج ففعل ولما أيس الأمين من
إصرار أخيه على الامتناع دعا الناس إلى البيعة لابنه موسى وهو

طفل صغير فاجابوه الى ذلك وبايعوه وسماه الناطق بالحق واستكفل
له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى بن ماهان قد
ولي خراسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقد
المنن في الاعناق وكان شانه بخراسان عظيما فاستشاره الامين
في امر خراسان فعظم له امرها وانه اخبر لو بلغ خراسان لم يختلف عليه
اثنان ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد يغلب عليها واعطاه
اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه من السلاح
والكراع ما شاء وبلغ ذلك المامون فاضطرب امره وعلم عجزه عن
مقاومة علي بن عيسى بن ماهان فركب الى منتزه له ليشاور
وزراءه في ذلك فعارضه شيخ من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له
وامر ان يحمل على دابة ويتبع به الى الموضع الذي قصده ويدخل عليه
من غير استيذان **فلما استقر** المامون ووزراؤه بذلك الموضع

فدخل
لما دخل عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس ثم
اقبل على اصحابه واخبرهم بما صنع اخوه الامين من القبض على
حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو يظن ان الشيخ لا يحسن
اللسان العربي وان ما به من الهرم شاغل له عن الاصغاء الى ما هم
فيه مع ما جمله ذلك من الجزع والاضطراب فلما راى القوم ان
المامون لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا اليه وطالت مناظرتهم
الى ان قال احدهم الراي عندي اصطناع اقوام من الاغنام الذين لا يعرفون
علي بن عيسى فيلقى بهم ۝ وقال غيره الراي ان نبادر بالارسال
الى الامين بطلب الصفح وبذل الانقياد لامره فان في ذلك خطرا
عظيما ۝ وقال بعضهم الراي ان نلجا الى بعض المعاقل فنعتصم
به وننتظر الفرج ۝ وقال غيره الراي ان نجمع اهل النجدة فنراح
عليهم ثم نقصد بهم بعض هذه المعاقل المجاورة لنا من بلاد الكفار
فنصدقهم القتال فلعل الله ان يظفرنا فنصير الى مملكة نتقوى بها ونرجع

اليتا من هو على مثل راينا فتمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي
الله امره وقال عبرة الرأي عندي ايها الامير ان تجاور الى ملك
الترك مستنصرا به مستعينا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم
تزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا قبل لها به ⊙ فلما سمع المامون
هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الرأي ثم افكر ⊙ فقال كيف
اجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ⊙ وقال لاصحابه قوموا عني
فنهضوا اجمعون التفت فراى الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وساله
عن امره وما قصد له على لسان ترجمان اقامه له ⊙ فقال الشيخ ايها
بلسان عربي اني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اوكد منها واولى
بالعناية ⊙ فقال المامون قل ما احببت سالكا سبيل الادب فقال
الشيخ ايها الامير اني دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك فقد
لقى الله عز وجل في قلبي من المحبة للامير ما ملانيه وقال كلثوم
يقال الرق ثلاثة انواع ⊙ فاولها واشدها بالباطن استعبادا والظاهر

رق الاختراع وهو رق الله لصانع الاشياء ومخترعها ● والثاني
رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه للمنعم ⊙ والثالث رق
الاتباع وهو صنفان احدهما رق الحب وهو اوفرها الى الرق واحرا ع
لان له سلطانا مبسوطا على الباطن والظاهر ⊙ والثاني رق
الرغبة لراغبها ورق العبيد لساداتها ⊙ وانا اخبر الامير
ايده الله انه قد تظافرت له علي ثلاث قوى من الرق ⊙ رق الحب
ورق الاصطناع ⊙ ورق الاتباع ⊙ فان راى الامير اعزه الله ان
يؤهلني وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي ⊙ فليحفني
رداء اختصاصه ⊙ ويمكنني مكاثرة اوليائه ونصحائه فعل
ذلك متطولا به على غير محتاج اليه ⊙ وان عبده ليرجو ان
تصادف الصنيعة منه شاكرا ⊙ والاختصاص به متشغفا
ناصحا ⊙ فقال له المامون ما دينك ايها الشيخ قال مجوسي
فاطرق المامون مفكرا فيما تكلم به الشيخ فقال الشيخ لا يصدك

الامير غني حقارة قدري عنده وانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع
احدا فانك تشفع به كائنا من كان وهو واحد رجلين ⊙ اما شريف
فيزين رتبتك وتتجمل به ⊙ واما وضيع فيحمي عرضك ويصون
مروتك ⊙ وعلى انني لست اعني حقارة قدري عند الامير
حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق اما الاخلاق فامتحانها بيد
الامير ⊙ واما الاعراق فانا ابن عمتي من لدا الهجن بن سيد ملوك
الفرس المتوسط بينهما وبين اول الاوايل ⊙ وانما اعني حقارة
رتبتي عند الامير وكوني في عقيد ذمته وصغار حرمته
فقال المامون ما ابتغاك ايها الشيخ رغبة ⊙ وان
استقلت من ذمتنا الى ملتنا الحقناك شعارا ⊙ فقال الشيخ
ان الباعث من نفسي الى ما دعاني اليه الامير لشديد ولكن
لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله فيما بعد ثم قال اياذن
لي الامير ان اتكلم فيما فاوض الان وزراه فيه ⊙ فقال المامون
تكلم

تكلم فقال الشيخ قد سمعت ما تكلم به وزرا الامير وكلهم منهم
مجتهد مصيب ولست ارضى شيا مما ذهبوا اليه ⊙ فقال
المامون اطلعنا على رايك ⊙ فقال الشيخ اني اجد في الحكم
التي رونها ابائي عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل
له به ان يلزم نفسه التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع
ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته ⊙ فانه ان لم يحصل
على الظفر حصل على العذر ⊙ فقال المامون ايها الشيخ
انه كان يقال لا راي لمكذوب ● وقد سمحت انفسنا بالثقة
لك من غير امتحان وما ذاك لاختيارنا اضاعة الحزم ولكنا
احببنا ان نذيقك ثمرة حسنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها
نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا اعني علي بن عيسى بن ماهان
هو املك بالبلد منا ولا يمكننا مقاومته لو اردنا ذلك لتعذر
الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان نجو اهل الامر

من قلبك بالحلم ولا تصغي الى من ينطق به فانه كان يقال ما كثر
من كثرة البغي ولا اقوى من قواة الظلم ولا ملك من ملكه الغضب
وانا احدثك عمن لو حذوت مثاله نلت مناله ⊙ فقال له المأمون
هات ما عندك ⊙ فقال الشيخ الفارسي ان الخشنوار ملك الهياطلة
لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا
ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم الهياطلة صخرة
واخذ على فيروز عهدا ان لا يجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخشنوار
من فيروز بما اخذ عليه من المواثيق والعهود والمسالمة اطلقه فخرج
رجع فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة ⊙ فعزم
على غزو الخشنوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه
عاقبة البغي فما ردّه ذلك عما هم به فاذكروه العهود التي اخذها
عليه الخشنوار ⊙ فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اتجاوز تلك
الصخرة وانما امر بحملها على فيل يكون بين يدي جيوشي لا يتجاوزها احد منهم

فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا القول علموا انقياد عقله
لشهوته فامسكوا عنه وعقدوا ان لا يراجعوه في ذلك وكان
يقال الهوى ضد يعلو العقل فلا تطبع فيه صورة الحقائق
وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ
اللجاج فذلك رين السكر وقوة سلطانه ⊙ وكان يقال لا ترشد
تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة والغضب عليه لانها حال
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها فاما سلطان العقل فطارئ مستفاد وللعقل حجابان
وهما الشهوة والغضب فلا يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم
تحجبه شهوة او غضب فحينئذ ينبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه
قال جمع فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون
الف مقاتل لان كل واحد منهم ضابط لربع من ارباع مملكته بابل
وامرهم بالتجهز لحرب الهياطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخشنوار في

٢٤ حبوش بن بطن ان لا غالب لها وكان الخشنوار ضعيف عن مقاومة
مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان ظفره بغروره وتمكينه اللبس هذا
موضع ذكرها ۞ وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا اللقب
حافظ الدين وهو عند الفرس كالنبي ۞ قال لفيروز حين عزم
على غزو الخشنوار لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على
الجور ما لم ياخذوا في هدم ركن من اركان الشريعة فاذا اخذوا في
ذلك لم يمهلهم وان العهود والمواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تعرض ض
له بسوء فلم يلتفت فيروز لمقالته وركب براسه هواه في معصية
اصحابه ونصحائه **وكان يقال** يستدل على ادبار الملك
بخمسة اشيا احدها ان يستكفي الملك الاحداث ومن لا خبرة
له بعواقب الامور ۞ والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى ۞ والثالث
ان يبغض خراجه عن مؤونة ملكه ۞ والرابع ان يكون
تقريبه واتباعه للهوى لا للراي ۞ والخامس استهانته بنصائح العقلاء

٢٥ وآراء ذوي الخبرة ۞ وكان يقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا
وكان يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الراي غالب ومن
ضعف فكره فهو في سلطان الهوى مغلوب ۞ وعلى هذا القانون
من عدم الفكرة في الامور التحق بالبهايم **قال الشيخ** الفارسي
وان فيروز سار قاصدا نحو الخشنوار حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها
الخشنوار علما للارض واستحلف فيروز ان لا يجاوزها امر فيروز بقلعها
وحملها على فيل بين يدي عسكره ونهى ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد
من العسكر فلما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت فيه الصخرة حتى جاز
رجل من اصحابه فاخبره ان سوار العظيم القدر من اساورته قتل
رجلا مسكينا ظلما وعدوانا فاحضر ذلك المسكين فاستغاث بفيروز
ويتظلم من الاسوار في قتل اخيه فامر له فيروز بمال ليرضيه به عن دم
اخيه فابا قبول المال وقال ۞ ما يرضيني الا دم قاتل اخي فامر فيروز

بطرده فانطلق من ثغوره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه
بخنجر في يده فلما رآه الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وبلغ الخبر
لفيروز فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزراء فيروز عن دابته وتقدم
بين يدي دابة فيروز وسجد له وسأله فيروز عن امره فأعلمه انه يريد الخلوة
معه في امر مهم عرض له فامر فيروز فضربت له قبة فسطاط فنزل فيها
وأمر لذلك الوزير فدخل عليه فأمره ان يذكر ما عنده ۞ فقال له
ايها الملك السعيد ملكت الأقاليم السبع وعمرت مثل ما عمر سابور السيف
في مثل عزته وقوته لقد ظهرت بك عناية الله وابان بما ضربه لك
من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا انجدا هرب بين يدي مسكين
في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وبغيه ۞ فقال فيروز انه لم
يفر عنه لعجزه عنه بل لخوفه منا ولم يكن ليفعل تلك الفعلة الشنيعة
فيشفعها بمثلها فقال الوزير ايها الملك اتأذن ان تدعوه الى
مبارزة ذلك المسكين وتأمنه من سطوتك فظهر ذلك المسكين
عليه

عليه اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم ۞ فقال الملك
لأفعلن ذلك ثم انه احضر الاسوار فأمنه وامره بمبارزة ذلك المسكين
الثائر باخيه فأجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه
واتي بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته فاظهر الرغبة فيها واكره ص
عليها تخوف من الهلاك فلم يخف فقيل له اما ترى درعه وسلاحه
وفرسه اما تعجب بغير سيفه وخنجره واقدامه وانك تهلك نفسك
ومستميت ولا اثم علينا فيك ۞ فقال المسكين دعوني واياه
فانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة ۞ وهو لابس درع الشك وانا
لابس درع اليقين ۞ وهو يقاتل بسيف البغي وانا اقاتل بسيف الحق ۞
فقال الوزير لفيروز ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في التنبيه
والموعظة من ظفره بالاسوار فقتل اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه
للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضى هذا المسكين بالاحسان
اليه فان لم يرضه الا القصاص فانظر بالعدل المألوف منك ؞

واستدم عنايه الاول الاخر بك وبعنايتك بالحق الذي به صنيه العمل
به وسخطه اجتنابه ⊙ فقال فيروز لا ابدل اخلي شيئهما وانظر الى ما يكون
منهما ان كان المسكين يجاور ذلك ويرغب فيه ⊙ فاعادوا عرض مبارزة الا سوار
على المسكين فاصر على الرغبة فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يزده
تخوفهم الا اجراة فاذا اما فقيل للاسوار القه ولا تخبن عنه فحمل كل واحد
منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار وضربه
الاسوار بالسيف ضربة نطا طالها المسكين فاصاب ذباب السيف
البتة فاثر فيها اثرا ليس بالكبير ثم مال اليه المسكين فضربه بالخنجر
في عنقه وجذبه فصرعه وقتله وهو ملقي ضربه اخري فادخل خلفا
من الدرع في جوفه وقضي عليه ⊙ فبات فيروز تلك الليلة متفكرا
فيما اتاه من الامر ثم انه استقاد لهواه فنفذ لوجهه **وكان يقال**
اول الهوى مزح واخره هون ⊙ وكان يقال الهوى طاغية من ملكه
اهلكه ⊙ وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم اتقادها
عسر

عسر اخمادها ⊙ وكالسيول اذا اتصل مددها تعذر صدها
وكان يقال ليس الاسير من اوثقه عداه اسرا وانما الاسير من اوثقه
هواه فسرا ⊙ واوهقه خسرا **قال الشيخ القادري** ولما علم الخشوار
بقصد فيروز لحربه حمل على نفسه التثبت ووكل الامر الى الاول الاخر
وساله ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها ⊙ واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد
ثغوره وجمع اليه جنوده واعد للقا فيروز عدته وامهل حتى وطي
فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته وعاث في بلاده وسا على
الرغبة اثره ⊙ فنهض اليه ففاجاه وصدقه الجلاد فانكشف فيروز
منهزما واسلم ما كان في يديه فقتل الخشوار رجاله وغنم امواله
وامعن في طلب فيروز حتي ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماه اصحابه
فكانت العاقبة له **فيل** فلما سمع المامون ما ضربه له الشيخ
القادري مثلا اقبل عليه مستبشرا وقال له قد سمعنا منك

فصادفت منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فما ذا ترى فيما
دعوناك اليه من توحيد الله تعالى الذي اجزل من العقل حظك ووفق
بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم لسانك وحجتك وعذرك ⊙ فقال الشيخ اشهد
ان لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
فسر المامون باسلامه واجزل صلته وقرب منزلته والحقه
بخاصة اصحابه وامر بملازمته بابه فما لبث الا اياما قلائل
لحق بالله تعالى ⊙ وعمل المامون برايه وانجح الله عمله وبلغه الخلافة امله ⊙

السلوانة الثانية وهي سلوانة التأسي

انزل الله ربنا تقدس اسمه في السورة المذكورة فيها الاحزاب ⊙
آيات تخبر ان طبع المتصل المقصود بهذا الكتاب وهو تأسي الملوك
في طوارق العوام والله ربنا المحمود على الدلالة عليها والهداية اليها
وذلك

وذلك قوله سبحانه في المتالبين على خليفته في اقامة الداعي الى
مندوبه وفرضه ⊙ صلى الله عليه وسلم اذ جاؤوكم من فوقكم
ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وقوله تعالى هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا ⊙
وقوله عز وجل في تردد من ضعفت بصيرته حينئذ وتظنون
بالله الظنونا ⊙ وقوله جل وعز في نجوم النفاق وجراة اهله
على اظهار ما كانوا يسترون حين راوا ان المومنين قد ابتلوا
وزلزلوا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا ⊙ وقوله سبحنه في القاعدين عن
نصرة الحق المخذلين من اراد نصره ⊙ قد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية ⊙ وقوله تعالى فيهم
واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله
عز وجل في المتسللين لواذا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان

وزلزلوا زلزالا شديدا

وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا

بيوتنا عورة الآية ○ وقوله عز وجل في تجار أسواق الفتن الذين
يستجيبون لكل داع ○ ويبتغون كل ساع ○ ولو دخلت عليهم من
أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها الآية ○ وقوله تعالى في تعجيزه
الحذر عن مغالبة القدر ○ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت
أو القتل الآية ○ والتي بعدها وهي قوله تعالى من ذا الذي يعصمكم من
الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة الآية **فهذه جمل** طوام العوام
والامتحان بما على ما أدب به رسوله عليه السلام ○ بقوله عز وجل
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ○ ومما أدب الله به
رسوله صلى الله عليه وسلم التأسي ○ فقال عز من قائل ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا
ثم عرف الله تعالى رسوله عليه السلام أن إضاعة التأسي وتركه
العمل به لا يحل إليه خطأه ○ فقال سبحانه وإن كان كبر عليك إعراضهم
الآية ○ واعلم أن التأسي مفترض عليه بقوله عز وجل فاصبر
كما

كما صبر أولوا العزم من الرسل ○ وقوله تعالى أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده ○ فهذا أمر جزم ○ وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم ○ قال إن الله أدبني فأحسن أدبي
فالتأسي مما أدب الله به رسوله بل مما افترضه عليه كما بينا ومعنى
التأسي عند الأئمة أن تنظر إلى من غيرك أي إلى حزنه وأنه مثل
أساك أي مثل حزنك فتصبر والأسى هو الحزن ○ ولا يعجبني هذا
وهو عندي مأخوذ من قولهم أسوت الجرح والجرح أي داويته
والآسي هو الطبيب المداوي فكان بمعنى التأسي التطبيب والتداوي بالصبر
والأسوة اسم من هذا والتأسي تفعل من الإسوة ولو كان ما ذهبوا إليه
لكان معنى التأسي التحزن ○ يقول أسيت أي حزنت وأسيت أي حزنت

خبر نبوي في التأسي

فما روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا إلى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم

www.مكتبة-المصطفى.com

قال ◉ محمد عفا الله عنه ان هذا الحديث حسن الموقع مما خرج فيه ولا
ينبغي ان يقتصر بلفظه عن اطلاق ابهامه وموجب عمومه والذي يوجبه
عمومه انه امر لمن كان في نعمة دقيقة ان ينظر الى من هو في نعمة ادق
منها ◉ وامر لمن كان في بلاء ان ينظر الى من هو في بلاء اشد من بلائه
فانه دونه واسفل منه في حظ المعافاة المطلوبة وهذا المخفف
عنه حظه اوفر واعلى ◉ فذو النعمة منعم عليه ومحسن اليه بما
يفوق بما انعم به على غيره ◉ وذو البلاء منعم عليه بنقص بلائه
عن بلاء غيره وبمعافاته من الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلي بها
غيره وانما كان هذا الخبر مبلغا في باب التاسي لانه ينقل مستعظم
البلاء الذي نزل به الى ان يستصغره باضافته الى ما ابتلي به غيره
ويحثه على شكر ما فضل به من حظ المعافاة التي فضل بها على
غيره وهذه درجة اعلى من درجة التاسي المطلق لان التاسي
المطلق لا يفيد حظا على شكر ما فضل به ولا بصور النعمة المخففة

في صور

من الشكر

في صور النعمة وانما يثمر الصبر خاصة ◉ وهذا الحديث يثمر الصبر
ثم الشكر ◉

اسجاع وابيات حكمية في التاسي

التاسي جنة البلاء وسنة النبلاء ◉ التاسي درج الاصطبار
كما ان الجزع درك التبار ◉ انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صور
العواري المسترجعة والودايع المنتزعة فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها
وجود النعم اذا استردها كما لا ينبغي ان لا يذهل عن حظوظ جنسه
منها ودولتهم فيها فاذا زالت عنه وصارت اليهم لم ينكر اخذهم
انصباءهم وتناصفهم حظوظهم وليتاسى بصبرهم عند حوزها
دونهم ويصبر لدولتهم الخالفة ◉ كما صبر للدولة السالفة
ولان صدقة المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين
وما يلحق بذلك من ضروب المواساة في المال وفي القوة وفي
الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليتاسى ذووا النعم باعطاء جنس
حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها مقنع والله المستعان

أنشدني بعض الملوك لنفسه في حال شدة نزلت به

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المجد الاغر الاعز ●
ولنا انفس عوارف بالدهر تأسي خير الاسى تستقر ●

وحضرت عنده يوما من ايام شدته فانشدني لنفسه

قربني دهري فلم يلفني اطمع في نائل يد تقربه ●
ثم نبا عني فلم يلفني اجزع من اصناف نكبته ●

ثم قال لي اجز فقلت

والحمد لله على حكمه مثوبتي منه وحربه ●

وقال لي يوما وقد حادثته على ما بعثته على التأسي انشدني

احسن في ذلك شعرا فانشدته للخنساء

ألا يا صخر لا انساك حتى أفارق عيشتي وازور رمسي ●
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ●
وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنهم بالتأسي ●

فقال

فقال لي هذا اخلق من طيلسان ابن حرب اسمع وانشدني لنفسه

نفيض كما يفيض النيل جودا ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا تأسينا باملاك كرام

روضة رابعة ورياضة فائقة

قال لما عزم سابور ذو الاكتاف على الدخول الى بلاد الروم متنكرا متجسسا نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر يمكنه ان يستنيب فيه بعضهم ● وكان يقال اشقى الناس وزراء الاحداث من الملوك وغشيان الفتيان من الشيوخ ● وكان يقال انما عبر صرف الاحداث عن عجب الهوى الجنة شبل الرأي لامرين احدهما قوة سلطان الشهوات والثاني ان التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم وذو الحنكة بخلاف ذلك ● ثم ان سابور توجه نحو بلاد الروم وأمعن [illegible] وزرا كان له ولا لابيه من قبله وكان شجاعا داهيا وحزم وسداد رأي وحنكة وبصر بالرياسات واللغات وتبحر في العلوم وخبرة

في المكايد فسلم اليه سابور جميع ما يظن انه اليه حاجة او بد عوه ●
اليه داعية وامن ان ينجح ورغبته في قرب منه ومن اعانه
في جميع احواله في نهاره وليله وتوجها معا نحو الشام فنزلا
ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان الخلافة وتحرف بصناعة
الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت منه الجراح
برات واندملت في الحال ● قال محمد قد رايت جماعة ذكروا انهم
راوا هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم انه امتحنه بان شرح اللحم
ودهنه منه فالتام في الحين وكان ذلك الوزير في حين مسيره نحو
بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوي الجرحى ادوية يضيف اليها
شيا يسيرا من ذلك الدهن فيبرا بسرعة واذا عني باحد من ذوي
الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فبرا مكانه فلا ياخذ على المداواة
اجرا فاشتهر له في بلاد الروم ذكر وصيت بالعلم والزهد وكان
يقال من زرع العلم اجتنى النباهة ● ومن غرس الزهد اجتنى العزة
ومن غ

٢٩
ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ● ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة
ومن غرس الوفا اجتنى المهابة ● ومن غرس المداراة اجتنى السلامة
ومن غرس الكبر اجتنى المقت ● ومن غرس الحرص اجتنى الذل
ومن غرس الطمع اجتنى الحزن ● ومن غرس الحسد اجتنى الكمد
وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها متفقة
على اخلاق اربع ● العلم ● والزهد ● والاحسان ● والامانة ●
قيل فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان الوزير يراعي احوال سابور
اشد المراعاة فلم يزالا على ذلك حتى طافا جميع الروم والشام وجاوزا
الدروب وقصدا القسطنطينية العظمى فقدماها وذهب الوزير
الى البطريك وتفسير هذا اللقب ابو الاباء فاستاذن عليه فاذن له
وساله عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الخلافة ليتشرف
بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه اشيا وهدية نفيسة
حسن موقعها من البطريك فقربه واكرمه واحسن نزله والحفه

بطانته واختبره فوجده لبيبا ممتعا فأعجب به غاية الاعجاب
وجعل الوزير يتأمل أخلاق البطريك ليصحبه بما يوافقه ويتفق
عنده ويحسن موقعه منه **وكان يقال** اذا اردت صحبة
رئيس فانظر ما يستميله ويتفق عليه من الآلات فان كنت مطيقا
للعمل بها في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فأخر
نفسك على ذلك حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على
بصيرة قيل فلما تأمل وزير سابور اخلاق البطريك وجده
مائلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار اخذ الوزير يتحافه
من ذلك بكل نادرة عجيبة وملحة غريبة فلم تطل المدة صحبته
حتى حل بعينه وقلبه وصار الصق به من شعرات قصه وجعل
الوزير مع ذلك يعالج الجرحى ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم
قدره في الناس وومقته القلوب ○ وكان يقال اذا كانت القلوب
مجبولة على محبة المحسنين وكانت المحبة رقا والاحرار يكرهون

الاسترقاق والحر على الحقيقة من فدى نفسه من رق المحسنين
بمكافاتهم على احسانهم جهده حتى اذا لم يستطع فليبق في نفسه لهم
معذورا وجعل الوزير يتعاهد احوال سابور في كل وقت الى ان
صنع قيصر وليمة عظيمة وحشر اليها الناس على طبقاتهم وتهدد
من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على هيئة قيصر
وهمته في قصره وذخائره فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه
وتزيا بزي ظن انه يستتر به امره ودخل دار قيصر مع من حضر
الوليمة وقد كان قيصر لما بلغه ما أبان الله به سابور من لطف
الفطنة وعظم الهمة وشدة الباس في حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى الحضرة بمصور ماهر فحكى صورة سابور في مجلسه وحال
ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده عليها المصور
وقدم بذلك الى قيصر فامر قيصر ان تصور تلك الصور على
فرشه وستوره وآلات اكله وشربه فصنع ذلك على ما امر به ورسمه

ولما دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم من حضر ذلك
اوتوا بالشراب في كؤوس من البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم
وكان في المجلس رجل من حكما الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة
فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل يتأمل شخصه واشارته
وصورته فراى عليه مخايل الرياسة فطفق يستشفه ببصره ولا
يصرف بصره عنه فاتى ذلك المفرس بكاس فيه صورة سابور
فتأملها وانطبعت في نفسه مثالا لذلك الشخص الذي انكره وغلب
عليه ظنه انه سابور فامسك القدح في يده امساكا طويلا
ثم قال ان واقعا صورته ان هذه الصورة التي في هذا القدح تخبرني
خبرا عجيبا ⊙ فقيل له ما الذي تخبرك به قال تخبرني هذه
الصورة ان هذا الذي هي مثال له في مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته فخوفه واعاد [illegible] فبلغ كلامه
قيصر فادناه وساله فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه
فامر

فامر قيصر بالقبض على سابور فقبض عليه وقرب من قيصر وساله
عن نفسه فتعلل بضروب من العلل فقال ذلك المفرس لا تقبلوا
قوله فهو سابور لا محالة فامر قيصر بقتله ليزعجه بذلك فلما عرف
لهم انه سابور ⊙ **وكان يقال** قلوب الحكماء تستشف الاسرار
من لحاظ الابصار ⊙ وطالما دلتنا اوايل المبصرات على اواخر
المنتظرات ⊙ وقيل كما ان الابصار مرايا تنطبع فيها المشاهدات
اذا سلمت من صدا الآفات ⊙ وكذلك العقول تنطبع فيها بعض
الغايبات اذا سلمت من صدا الشهوات ⊙ وقيل من الادلة على مكاشفة ⊙
الله القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشي يكرهه
او يحبه ثم يكون ذلك الشي الذي يتوقع على نحو ما يتوقع منه فقد يرى
الانسان الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه او يبغضه
لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان والاساءة قيل
فلما اعترف سابور بصدق ذلك المفرس حبسه قيصر مكرها وامر

فعملت له من جلود البقر صورة كأعظم ما يكون من البقر وطبقت عليها
الجلود سبع طبقات واتخذ لها بابا من أعلاها في ظهر الصورة يدخل إليها
ويخرج منها وجعلت فيها كوة في أسفلها في موضع المبال ثم أمر سابور
فجمعت يداه إلى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة بمكنه معها
تناول ما يصلحه من طعامه وشرابه وغير ذلك وأدخل سابور في
جوف الصورة هذه بعد أن حشد قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد
الفرس ووكل بتلك الصورة التي سجن فيها سابور مائة رجل من ذوي
البأس والنجدة والشدة يحملونها دولا بينهم وجعل على كل خمسة منهم
رئيسا يبسط أمرهم وصرف أمر جميعهم إلى المطران ومعنى هذا اللقب
صاحب البلد وهي رياسة دينية وهو خليفة البطريك فكانت تلك
الصورة تحمل بين يدي المطران فإذا نزل العسكر أنزلت تلك الصورة
التي فيها سابور في وسط العسكر وضربت عليها قبة تسترها وأطاف
بها خمسون من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر
قباب

قباب مستديرة بها وفي كل قبة خمسة ورئيسهم معهم ◉ وضربت
للمطران قبة تجاوره قبة سابور وضربت خارج القباب كلها أخبية
يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب أقدارهم ومراتبهم
وسار قيصر محتفلا في جنوده وقد عزم على إخراب بلاد الفرس
وتعفية معالم ملكهم لعلمه أن لا دافع يدفع عنهم وكان
يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما دامت لدولته ريح إقباله
كما أن العجز إضاعة الفرصة فيه إذا أدبرت دولته وركدت ريح
إقباله ◉ وكان يقال العاقل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت
فيه خصلتان الانهماك في اللذات وإضاعة الفرص وكان يقال
تميز الملوك عن السوقة إنما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة الآلات
وفضيلة ذات الملوك بخمس خصال ◉ رحمة تشمل رعيته
ويقظة تحوطهم ◉ وصولة تدفع عنهم ◉ ولباقة يكيد بها الأعداء
وإنما فضيلة الأدوات ◉ فاتخاذ المباني الوثيقة العلية ◉ والملابس

الانيقة الشريفة ⊙ والذخاير النفيسة السنية ⊙ والمطاعم الشهية
والمراكب البهية ⊙ فهذه فضيلة تفضل بها هذه الادوات على ما هو
دونها من اجناسها فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب
فضل على غيره من الثياب ⊙ وللذخيرة فضل على غيرها من الذخاير
وللطعام فضل على غيره من الاطعمة ⊙ وللدابة فضل على غيرها
من الدواب ⊙ فالفضيلة لهذه الاشياء لا لمالكها **قيل**
فلما سار قيصر بجنوده ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال
وزير سابور للبطريك انما استفدت بجدي منك والقرب منك الرغبة في
صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من نفس كريمة عن محمود وجر
اعني نفعه الى مضطر ⊙ وقد علمت كفايتي على مداواة وان نفسي تتاق
الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل الله تعالى ان يسبقك لي
نفسا صالحة يترحم على من اجلها ويقدس فليتخذ منها وحفظي لها
فكره البطريك ذلك وقال له قد علمت اني لا استطيع مفارقتك

سام

سماعه فكيف تطالبني بالسفر البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما
اكرهه وتسومني ما يشق على احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيا من
الاشياء على القرب مني والحبب الي فلقد اتانني عن حسن ظني بك
ولم يزل الوزير يتضرع الى البطريك ويتملق له ويترسله العود الي
ان يسمح له بذلك ⊙ فاذن له وزوده وكتب معه الى المطران كتابا
يخبره فيه انه قد بعث اليه بسويداء قلبه وسواد بصره فليحله
من نفسه باعلى المراتب ويستضي برايه فيما اشكل عليه فقدم
وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه في بيته وجعل
زمام امره ونهيه في يده ⊙ وجعل الوزير يتفقد على المطران بما
يعجبه ويستميله بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة باخبار ممتعة
رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلا بذلك ويدس
في احاديثه ما يحب ان يعلم به سابور من الاخبار ويفطنه له من
الاسرار فكان سابور يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعد

تخلص سابور انواعا من المكايد نهاه واستسهلها عند ما اقدم على المطارن

وكان يقال من ظن من الملوك ان فطنته على فطنة وزيره فضيلة

فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة الوزير لم يفلح وانما

كانت الوزراء اثقب من فطن الملوك لان الملوك ينفقون بالهم في سياسة فطن

الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه شي بالجوارح التي تصيد وتفترس

وتصيدها ايضا جوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح بمكايد الافتراس

ومكايد الاكتساب ⊙ وكان يقال احسن الوزراء حالا من اعد

لكل امر يجوز توقعه ويجوز كونه عدة فاذا وقع الامر قابله بما كان اعد

له واسوا الوزراء حالا من توكل على لطف فطنته وقوة حيلته ودربته

ممارسته فترك الاعداد للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو

في ذلك بمنزلة تارك القول واعداده ورويته توكلا على فصاحة لسانه

وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه الحصر

والعي في بعض مقاماته وبمنزلة من ترك السلاح توكلا على قوة بدنه

وشجاعته

٣٤ وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به عدوه في بعض المواطن ⊙

فيما كان من المكايد التي اعدها وزير سابور انه منع من مواكلة

المطارنة وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام الذي يود المطارنة طعاما

غيره لما يرجوه من بركة الاغتذاء به فكان اذا احضر طعام المطارنة

اخرج هو من ذلك الزاد وانفرد بالاكل منه فلم يزل فيصر سابورا

بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه

وقطع الشجر واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير

مبادرا ليستولي على دار ملك سابور ويباغتهم بها من روساء

الفرس من قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس همة الا الفرار من

بين يديه والاعتصام منه بالمعاقل فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى

بلغ مدينة سابور وقرارة ملكه وهي المسماة جندي سابور فلما ط⊙

احاط بها بجنوده ونصب عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء

الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا

قد علمه سابور على التفصيل فيما يفهمه له وزيره ويدسه له في حادثته
من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم تسمع منه كلمة منذ
سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته
على اهل جندي سابور وقد ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح البلد
عيل صبره وساء ظنه بوزيره وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه فلما جاءه
الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا اضعفت
عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فافسحوا عني شيئا منها واجعلوا
بينها وبين عنقي وبدني خرقا من الحرير فجاء الموكلون بطعامه الى
المطران فاعلموه بذلك فسمع وزير سابور ذلك فعلم ان سابور قد جزع
وساء ظنه بوزيره وفطن لما قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس
لمسامرة المطران قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ
كذا وكذا ولوددت اني كنت حدثت المطران به قبل سفري هذا عنه
قال له المطران اني ارغب اليك ان تحدثني به ايها الحكيم الراهب فقال

الوزير

الوزير نعم وكرامة ثم اندفع رافعا صوته يحدث المطران ليسمع سابور
انه كان عندنا بجليقية فتى وفتاة في نهاية الحسن والظرف واسم
الفتى ما معناه عبد اهله واسم الفتاة ما معناه سيدة النساء
وكانا زوجين مؤتلفين متحابين لا يبغي احدهما بالآخر بدلا وان عبد
اهله جلس يوما مع فتيان يتحدثون فتذاكروا النساء الى ان وصف
احدهم امراة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ما معناه سيدة
الذهب فوقع في قلب عبد اهله ميل اليها فسال الواصف لها عن امرها
فذكر له انها بقرية غير قريبة من اهله ففكر عبد اهله في امرها وخط مره
حسنها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا **وكان يقال** العقل
كالبعل والنفس كالزوجة له والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان العقل
على النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة اللبيبة
فيهما بعلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها وبعلها فتصلح الجملة
واذا كان سلطان النفس على العقل مبسوطا كان سعي النفس فاسدا وعا

كمثل المرأة التي قهرت بعلها ۝ قيل وانطلق عين اهله الى القرية
التي تسكن بها سيدة الذيب وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل يتردد
اليه احيانا حتى رآها فرأى منظرا رائعا ولم تكن باحسن من امرأته
وانه كان يحتال من ضرورة النفس ان يخرج الى التفضل في الاحوال اذا
كانت تتعلق بالتركيب الى عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد
وما افتتح امره بالفضيلة وختم امره بالفضيلة فاللائق به التوسط بالفضيلة
ونازعت عين اهله الحسد الاستكبار من رؤية سيدة الذهب فلزم
المعاودة الى منزلها والتمتع بالنظر البهاجي ففطن له بعلها وكان
جلفا غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذيب فرصد
عين اهله فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه ولعنه
واغتض عليه واستعان باصحابه له فاحتملوا عين اهله وادخلوه
الى دار الذيب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها ووكل به عجوزا
عوراء العين قطعا البدو للرجل شوها الخلق سيئة الحال فلما جن عليه الليل

ووقدت

اوقدت تلك العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجعلت تصطلي فتذكر
عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية والعز في زمرة عالية
فاقبلت عليه العجوز وقالت ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد
الذلة والشدة ۝ فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت
العجوز هكذا قال الفرس للخنزير فلم يصدقه ثم بلحته عن امره
فظهر على ما خفي عنه وعلم صدق الخنزير فقال عين اهله للعجوز
انبئيني ان تحدثيني به وكيف كان فانك تحسنين الي بذلك ۝ قالت العجوز
زعموا ان فرسا كان لاحد الشجعان فكان يكرمه ويحبه ويحسن اليه
ويتعهد لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في الغدوات الى
مرج فينزل عنه ولجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى
يرتفع النهار فيركبه وانه خرج يوما الى المرج ونزل عنه فلما استقرت
قدمه على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه
الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينيه عند غروب الشمس فرجع

الفارس الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم
عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ فمنعه السرج
ورام ان يستلقي على احد جنبيه فمنعه الركابان فبات بشر ليلة فلما اصبح
ذهب يسعى فرجا مما هو فيه فلم يعترضه نهر فدخله لنقطعه الى الضفة
الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم
يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس اللبب والحزام فيبسا
واشتد عليه لبانه وحزامه واشتد الضر عليه الى ما به من الجوع
فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام فمر به خنزير فهم بقتله
ثم عطفه عليه ما راى به من الضعف فسأله عن حاله فاخبره بما
هو به من اضرار اللجام واللبب والحزام وسأله ان يصطنع عنده
معروفا ويخلصه مما به فسأله الخنزير عن الذنب الذي استوجب به تلك
العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال له الخنزير كلا بل انك كاذب بعماك
وجهلك بجرمك فان كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي لي ان انفس عنك خناقا

ولا اصطنع

ولا اصطنع عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك
شكرا او اطلب فيك اجرا **وكان يقال** اذا رايت نفس الكذاب
قد تشبثت بها عالم الفساد فخلها اليه فانه اللائق بها لفساد تركيبها
والدليل على فساد تركيب نفس الكذاب انها مضربة معرضة عن الحقيقة
في الحوادث ونزاعه الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل
حقا وتصور ذلك في نفس المخبر بها الراكن الى قولها وكان يقال
احذر مقاربة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من
طباعهم وانت لا تشعر ⊙ وكان يقال اصعب ما يعانيه
الانسان ممارسة صاحب لا يتحصل منه على حقيقة ⊙ ⊙
وكان يقال لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول على مصافاته
فان طباعه اصدق له منك فلن يترك طباعه لك ⊙ ثم قال
الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة ⊙
فجهلك بذنبك اعظم منه ومن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه ⊙

وكان يقال أشر الجاهل فانه يجني على نفسه ولست أحب
اليه منها وكان يقال لا شي اشبه بالكذب من الجهل وذلك ان الكذاب
يشابي الصوره والقضيه المحسوسه ويحمل الكذب الذي هو ضدها
حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل
يري الاشيا على خلاف ما هي عليه فيري الحسن قبيحا والقبيح حسنا
وانما الفرق بين الجاهل والكاذب ان الكاذب ياتي ما يعلم خطاه به
والجاهل لا يعلم ذلك وهو على نفسه وعلى غيره اشد جنايه من
الكاذب فقال الفرس للخنزير ينبغي للانسان ان لا يزهد في اصطناع
المعروف فقال الخنزير اني لست بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال
العاقل يخبر بمعروفه كما يخبر البادر بحبوبه التي يبذرها زكي من الارض
فحدثني بالفرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك عن حالك قبل ذلك
لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس جميع امره وكيف كان عند فارسه
مكرما وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه به

فقال

فقال له الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بجرمك وان لك ذنوب
ستة ⊙ اولها خذلانك فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات
والثاني كفرانك احسانه ⊙ والثالث اضرارك به في طلبك ⊙
والرابع تعديك على ما لبس لك وهو اللجام والسرج ⊙ والخامس
اسائتك الى نفسك بتعاطيك التوحش الذي لست له اهلا ولا لك
عليه مقدرة ⊙ والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك على غوا يتك ⊙
فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك والاستقاله من فرط جهلك قبل
ان يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزام بالضبط فقال الفرس للخنزير
اذ عرفتني بذنوبي وايقظتني لما كنت جاهلا عنه محجوبا بحجاب
الجهل فانطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف ما انا فيه
فقال الخنزير اما اذ عرفت على ذلك وفطنت لجهلك ولمت
نفسك ووبختها واخترت لها العقوبة على جهلها واستعملت الحكمة
التي وعيتها فانك حقيق ان ينفس عنك وانه قيل ان الملوك

كتب على بابها انه لن ينفع حكمتها الا من عرف نفسه ووقف بها
عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون بهذه
الصفة ۝ ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفض
عن الفرس فلما سمع عن اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته له
من المثل اقبل على العجوز وقال لها صدقت فيما نطقت وضربتيني لي
مثلا لاكشف لي عن جلية امري وافدتني حكما لا كفاء لها وادبتني
فنافتي دو عظتني فانتفعت ثم حدثها حديثه ورغب اليها ان تمن عليه
بالاصطناع وتطلقه كما فعل الخنزير بالفرس ۝ فقالت العجوز
انك غر لا بصيرة لك باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكنني فعله
الان ولعلي ان اجد لك فرجا ومخرجا مما انت فيه فعليك بالصبر واسكت
العجوز عن مخاطبته عن اهله فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه
الغاية اقبل على المطران وقال له اني احس في راسي صداعا وفي
اعضاء فتورا ما لا يمكنني الليلة اتمام الحديث ولعلي اكون في الليلة

فقالت القابلة

القابلة نشيطا الى ذلك قديرا عليه فاحتمل مسرته باحماله ونهض
الى مضجعه فجعل سابور يتصفح حديث غريره ويتامل الامثال
التي ضربها ففهم ان الوزير كنى عنه بغير اهله لانه ملك فارس
وكنى عن مملكته واقليم بابل بسيدة النار لان قومه يعبدون
النار وكنى عن بلاد الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر
بالذئب الذي ذكر انه نعل سيدة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور
الى مملكة الروم بطموح نفس غير اهله الى رؤية سيدة الذهب
وكنى عن اخذ قيصر له بقبض الذئب على غير اهله وفصل بما ضربه
له من الامثال الحكمة لادبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفة
نصحائه وكنى عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة
المطران وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز العورا القطعا الجدعا
السوها السيئة الحال وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في ذلك الوقت
وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته

ثقته بوزيره واستروح الفرج ولبث بذلك ليلته وغدها الى الليلة
القابلة فلما تغشى المطران واخذ مقعده للمسامرة قال الوزير
سابور ايها الراهب الحكيم اخبرني ما كان من امر عين اهله وكيف
كانت عاقبة شدته وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب ام لا
فان نفسي متطلعة الى ذلك فقال ان ادركنا الليلة صالح الحال فقال الوزير
سمعا لامرك وطاعة فاقبل عليه فقال ان عين اهله اقام على حالته
موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذئب فهدده بالقتل وزاده
قيدا الى وثاقه وخرج عنه فقطع عين اهله نهاره كله بلا ابا
فلما جنه الليل قلق واستوحشته الافكار الموحشة وبكى وانتحب
فجاءت العجوز واضرمت نارا وجلست تصطلي قريبا منه ثم اقبلت على
عين اهله فقالت له تعز واصبر واذكر مصايب الناس وتاس بهم
ولا تتشاغل عن النعمة العظمى في حفظ نفسك فقال لها عين اهله
لقد صدق القايل هان على الطليق ما يلقى الاسير فقالت العجوز ايها الفتى

ان حداثة السن تصرفك عن ادراك كثير من الحقايق افتسمع حديثا ٤٠
لك فيه سلوة قال نعم وانعمي به علي **قالت العجوز** ذكروا ان تاجرا
مكثرا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان شديد المحبة له والشفقة
به فاتحفه بعض معارفه بغزال شيخ صغير فعلق قلب الغلام به فكان
لا يفارقه وجعل اهل التاجر على ذلك الغزال حليبا نفيسا وان يشطروا وان يشطروا صح
له شاة ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشب نجم قرناه فقال الغلام
لاهله ما هذا في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادهما وبريقهما
فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى تكون صفتهما كيت وكيت
فقال الغلام لابيه احب ان ارى ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه
فصيد له ظبي تام السن قد استحكم قوة ونموا فاعجب الغلام به وكرمه
اهله وحلوه واكسوه فانس والف الغزال الظبي للمجانسة الطبيعية
فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان رايتك ان لي في الارض شكلا
ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا كثيرة سواك فقال له الظبي ان

اشكالك لكثيرة فقال له الغزال اين هي فاخبره الظبي بتوحشها
وانفرادها في فلوات الارض فرارا من الناس وحدثه عن مراتعها وموارد دما
وازدحامها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها
ليكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها وانك قد
نشات في رفاهية لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لندمت
وانه كان غافلا بلذته من لم ينزلها منزلتها ويرع لها حقها اسرعت بفراقه تنبه
والتحول عن قربه نعمى ۝ الملوك ۝ والعلماء ۝ والنعمة ۝ وانه كان ن
يقال الاماني في الشدة ارباح ۝ وفي الرخاء جماح ۝ فلا ينبغي ان
ياذن العاقل لنفسه من الاماني الا في المقدار الذي يونس الوحشة وينفس
الكربة فان استيلاء الاماني على النفس كامر السفل الذين يعيدون الرونق
اعجازا واعجاز رؤسا ويسعون في قلب الاعيان وتغيير صور الصواب
فقال الغزال للظبي لا بد لي من اللحاق باخواتي فلما راى الظبي ان الغزال
غير منته وخاف عليه ان يقطع به قبل بلوغه ما تمناه لا لا

يعر

يعرف التجرد من مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه
ليقضي حرمة الفته اياه فصدحيا بمكنته فيه الفراد فرحا معا حتى
لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب يعدو ولا يثنيه
شيء فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فحصل فيه وانتشب وطمع
ان ياتيه الظبي فيخلصه فلم ياته فبقي هنالك وان ولد التاجر لما اصبح
عدم الغزال والظبي فجزع لفقدهما واشفق ابوه عليه فاستدعى كل
من كان ياوي الصيد بمدينته تلك فعرفهم القصة وكلفهم طلب
الظبي والغزالة ووعد من وجدهما وعدا مرغوبا فيه وانبثوا في سهل
الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر دابته وفرق اتباعه على باب المدينة
ينتظرون من ياتي من الصيادين وانطلق هو وعبدانه حتى اتوا الصحراء
فراوا على بعد رجلا مكبا على شيء بين يديه فاسرع نحوه واذا هو صياد
قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه واذا هو ذلك الظبي الذي يطلبه فخلصه
من يد الصياد وامر بحمله فحملوه فوجدوا معه الحلي الذي كان على الظبي

فسأله كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال لهم اني بت في هذه الليلة
انصيد فنصبت شركا وكنت قريبا منه فلما اصبحت جاء هذا الظبي ومعه
غزال فمشى ... ودخل في جمة غير جهة الشرك وجاء هذا الظبي
يمشي حتى وقع في الشرك فاخذته وقصدت به المدينة حيا
لعلمي انه اذا دوي حيا طولبت بما عليه من الحلي فرايت ان اذبحه
وادخل به حمامكم فهذي خبري   فقال له التاجر لقد خفي عليك
شيات الخيبة والحرمان فماذا عليك لو اطلقته وحصلت انت على
ما كان عليه من الزينة لقد صدق القايل لا يدخل الشره مدخلا
الا اعقبه الحرمة   ولا يدخل البخل مدخلا الا اعقبه
الحسرة الا ترى ان من جملة الشره والبخل على اكل اللقمة
التي عافتها نفسه كان معرضا للحرمة بسرع ما اكله والحسرة
عليه عند فراقه ثم ان التاجر بعث بالظبي الى ولده مع احد عبيده
وقال للصياد ارجع معي فارني الجهة التي رايت الغزال سعى نحوها

فرجع

فرجع به الى تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويتشوف على المواضع
المرتفعة ويتبع الاثر على رسله فسمع نبيب الغزال اي صوته
فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت فاتبع التاجر
الصوت حتى وقف عليه فاذا هو في اخدود وادي يشق في الارض
منتشبا فيه فاخذه وبادر الصياد فوهب له دراهم واصرفه
ورجع التاجر بالغزال الى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الغزال
يتجنب الظبي اذا راه ولا يالفه وكان اذا حصل معه في موضع نفر منه
اشد النفار فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهدوا اهله بكل حيلة
ان يجمعوا بين الغزال والظبي على حال الفة وسكون فلم يقدروا
على ذلك فبينا الغزال يوما نايم في بيت اذ دخل عليه الظبي
فعاتبه على نفاره منه وطول هجرته فقال له الغزال ليس غدرك
بي احوج ما كنت الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فقال له الظبي
اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم سوخك بعلم التجربة اوقعك في

نهته البري واني لم اتاخر عن تخليصك مما حصلت فيه الا مضطراً للتاجي
عنك عاجزاً عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه دخل
في شرك الصياد فقبل الغزال عذره وعاد الى ألفه قال
فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ارادته به
من ذكر عجزها في تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى
وزير سابور في حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطران ايها
الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد تؤخر اخباري بعاقبة
ما كان من عين اهله وما لقي من الذيب وما صنعت معه العجوز
فقال الوزير اني لعازم على ذلك لفتور اجده في اعضائي فقال
المطران لا تفعل فان ذلك يسوؤني ويشق علي فاحمل لي على نفسك
الليلة ايها الحكيم فاني راغب في ان يسرك معجب باحاديثك
فقال الوزير نعم افعل ذلك لطالب مرضاتك ولو علمت ايها المطران ن
ما ادخرت لك من الاعاجيب والاخبار وغرائب الاثار لعجبت من ذلك
الشر

أشد العجب ثم اندفع بحديثه فقال ان عين اهله لما سمع حديث العجوز
وفهم ما ارادته به امسك عنها ولبث ليلته تلك في اسوا حال
ولما اصبح دخل عليه الذيب فنال منه وتعتعه وتهدده بالقتل
وزاده قيداً ثقيلاً وعرّفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له منه بر
وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج
فلما اقبل عليه الليل استوحش وبكى وانتحب وانتظر ان تجلس اليه العجوز
وتحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول والخروج الى البيت
الذي فيه عين اهله ولا تستفرغه فساءه ظنه وايقن بالهلاك وما
شك في ان الذيب يقتله تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى ذهب
صدر من الليل ثم قال للعجوز ما لك لا تؤنسيني في هذه
الليلة بحديثك وتجالسيني الي فجلست اليه وقالت له اما كان لك
في دينك قطعا جد [illegible] ما يحملك على التأسي والتسلي وحمد
الله وشكره على سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء هو اعظم
من

من بلد ابعد حتى قلت لك هان على الطلبوه ما لقي الاسير ولو اعتبرت بناظر
حالي بما ظهر لك منهما لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع الي
احدثك بحديثي ⁂ اعلم ايها الفتى اني كنت زوجة لبعض الفرسان
وكان لي محبا وبي رفيقا وبي محبا فكنت في ارغد عيش والذه
فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا كثيرة ذكورا واناثا
فكبروا واني فاهية من العيش فغضب الملك على زوجي لامر كان منه
فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني انا وبناتي مفترقات فاشتراني هذا
الفتى الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية واساء الي وكلفني
من العمل ما لا اطيق واكثر عنفي وعاقبني على غير ذنب لما طبع عليه
من القسوة والفظاظة فسالته مرارا ان يرفق بي واستعنت
عليه باخوانه ليخفف عني او يبيعني فلم يزده ذلك السؤال والشفا عات
الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه
فادركني وجدع انفي ثم عاود قسوته علي واضراره وعاودت مسالته
والاستشفاع

والاستشفاع اليه وهو مقيم على عتوه آبي فكثر ذلك مني
اخرى فررت وظفر بي فقلع عيني وعاود عسفي فمكثت سبع سنين اخرى
ثم فررت منه فظفر بي وقطع يدي وقال لي ما بقي لي من اعضائك
التي انتفع بها الا عينك ويدك فان فررت بعدها قطعت رجليك
معا ثم ابقيك انتفع بعينك في الحراسة وبيدك في العمل واحتم
على ذلك بتغليظ الايمان ثم عاود عسفي ومضرتي وقد عزمت
على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما انا فيه
ولهذا ارايتني اكثر الدخول والخروج الى الباب وانما ذلك لحيرتي وجزعي
من الموت وقد طابت نفسي على الموت ثم انها فتحت قيوده عن اهله
وقطعت وثاقه وناولته سكينا ليقتل نفسها فقال [illegible]
لئن تركتك تقتلي نفسك فقد شاركتك في دمك وانتزع السكين
من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معا او نعطب معا
فقالت له ان كبر سني وضعف بصري يمنعاني من اتباعك والهرب

بعد فقال لها عبر اهله ان الليل شنيع والموضع الذي نامر فيه قريب
وبي قوة على حملك فقالت العجوز له اما اذ عزمت على هذا فاني لا احوجك
ان تحملني ما دامت بي قوة ۵ وخرجا معا فلم ينقضي الليل حتى بلغا حيث
امنا فجزاها عبر اهله خيرا بما صنعت وانحلها اما ينسج بها او يبيع
هذا ما بلغني من ذلك فقال المطران انما اعجب احاديثك ايها الحكيم
ولقد وددت ان لا افارقك ابدا ۵ وان سعي هذا يطول لتطول معي بك وتعظم
حظي من انسك ولقد استغنيت عن مفارقة الاهل والوطن بك ونهض كل واحد
منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل امثاله
ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل للوزير وان خروج الظبي مع الغزال
الى الصحراء وحصول الغزال في الاخدود مثل لصحبة سابور ووزيره حتى
حصل سابور في حبس قيصر وان نفار الغزال عن الظبي مثل لسخط سابور
بوزيره لتاخره عن استنقاذه وعرف ان الوزير قد عزم على استنقاذه
والخروج به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وانه يحمله ان عجز عن

المشي

المشي فايقن سابور بقرب الفرج ۵ ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير ٤ ٤
سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطران والموكلين بحبس سابور
في حال الخلوة والقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ولما احضر طعام
المطران انفرد وزير سابور باكل زاده على ما جرت به عادته فلم يكن الا
ساعة حتى استحوذ المرقد عليهم واخذوا مضاجعهم في مراقدهم ومراصدهم
وبادر وزير سابور ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه من الجامعة
من عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جهة
سابور وهي مدينة ملكه فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهم الموكلون بحراسة
السور فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض اصواتهم واعلمهم بسلامة ملكهم
وعرفهم بنفسه فبادروا وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها وامرهم
سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان ياخذوا اهبتهم
فاذا ضربت نواقيس النصارى للقربان ان يخرجوا من المدينة وافترقوا
في عسكر الروم وقاموا على اهبتهم وتعبيتهم حتى اذا ضربت النواقيس

الترب التي حملوا أجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا أمره وانتخب
كتيبة عظيمة فيها شجعان أساورته وقام معهم فيها إلى الخيمة التي فيها
أخبية قيصر ولم تكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم
وأنهم قد نبذوا أبواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمهم الفرس فأخذ سابور
قيصر أسيرا وغنم جميع عسكره واحتوى على خزائنه وذخائره وقتل الجم
من جنوده إلا الشريد ثم عاد سابور إلى دار مملكته فقسم الغنائم بين أهل
عسكره وأفاض الصلات على جميع من في مدينته فنعمت أحوالهم وأحسن
إلى حفظة مملكته وشكرهم وفوض جميع أموره إلى ذلك الوزير الذي خلصه
ثم أحضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له إني مبق عليك كما أبقيت على
وغير مجاز لك بتضييق محبسي ولكني آخذك بإصلاح جميع ما أفسدت من جميع
مملكتي فتبني ما هدمته وتغرس مكان كل نخلة قلعتها زيتونة ثم تسرح
كل من في مملكتك من أسارى الروم ففعل قيصر ذلك كله ووفى له به
ولما انتهى في الإصلاح إلى بناء ما انثلم في سور مدينته سابور قال القيصر

إنما نبتغيه من تراب بلادك فأمر قيصر رعيته من الروم بحمل التراب من
بلادهم إلى جندي سابور فرفع به ما انثلم من سورها ولما تم لسابور ما
أراد من ذلك كله أحسن لقيصر وأطلقه إلى دار ملكه بعد أن قال له خذ
أهبتك واستعد بعدتك فإني غاز أرضك عن ما قريب ⊙ قال
محمد عفا الله عنه فقد بلغت هذه السلوانة الغاية التي نحوتها بهذا
الكتاب والحمد لله على ما تيسر من ذلك ⊙

السلوانة الثالثة وهي سلوانة الصبر وهو ثمرة التأسي

قال الله ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ⊙ ونبيه العزيز
عليه ⊙ واصبر وما صبرك إلا بالله الآية ⊙ وهذا لما نابه ما يسطون عليه
وقصدوا إياه بالمكر والمكروه البغيض ⊙ كما أخبر ربنا تعالى بقوله ⊙ وإذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ⊙ وكان رؤساء
قريش قد اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وأتاهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم
فقال لهم اني من اهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني ما اجتمعتم اليه
ولعلكم لا تعدمون في محضري خيرا فاخذوا في مشاورتهم فقال
عتبة اري ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره حظا لكم
وان قتلكم فقد كفيتم امره دونكم فقال ابليس ما هذا براي اما سمعتم
حلاوة منطقه واخذه بالقلوب فلا تامنوا ان يقع في حي من احياء
العرب فيستمد اهواءهم ويسير اليكم حتى يخرجها عنكم فقال اخر منهم
اري ان توثقوه وتحبسوه حتى ياتيه اجله وهو في حبسه فقال ابليس لعنه
الله ليس هذا براي اما علمتم ان له اهل بيت واتباع لا يرضون منكم
بهذا فيقع الحرب بينكم ويهون امركم ثم قد يكون الامر عليكم فقال
ابو جهل لعنه الله اري ان ناخذ من كل قبيلة فتى جلدا ونعطي كل
واحد منهم سيفا وياتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر اهله ان يطلبوا دمه اذا تفرق في قبايل قريش فقال ابليس

لعنه الله

لعنه الله لقد اصاب الراي فتفرقوا على راي ابي جهل لعنه الله
واوحى الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرفهم مكرهم
ويامره بالخروج الى طيبة وجا الذين تخيروهم من القبايل بالفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله من اول الليل فامر النبي صلى
الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يلبس برده الاخضر
وينام على فراشه واعلمه انه لا يصل اليه منهم مكروه فالتحف
علي رضي الله عنه ببرد النبي صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه
وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته متوجها نحو الغار والقوم
على الباب فقرا اول سورة يس والقران الحكيم واخذ كفا من التراب فجعل
يذره على رؤس القوم وهم لا يبصرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم
وجعل المشركين ينظرون الى علي رضي الله عنه في مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما يقولون هذا محمد نايم ولا يطيقون الدخول
حتى اصبح وقام علي رضي الله عنه فنظروا اليه واتوه وقالوا له

ابن محمد فقال لا أدري أمرغوه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة

خبر نبوي في الصبر

فمما رويناه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنوده فناهيك بخصلة تأمر على هذه الخصال الشريفة وليس المراد بتفضيل الصبر على العقل والحلم وما ذكر من الخصال معهما ولكن المراد أن بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف بها لأن معنى الثبات والحبس والإمساك فمن اتصف بشيء من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليها والملازمة لها كان عند مزايلته كمن لم يتصف به فالصبر لهذه الخصال الشريفة ضابط ضبط الأمير جنوده عن مزايلة مراكزها والإخلال بنصبته من دفاع وانتفاع

منثور ومنظوم من الكلام في الصبر

روي عن علي رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل إن مما كتب

في الصحيفة الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفرس كما أن الحديد يعشق المغناطيس كذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر

اعلم رحمك الله أن ظل الصبر ظليل ومطيه ذليل وأن الصبر درج يفضي بمن عرج إلى الفرج وأن أقل فوايد الصبر على البلية أن الصابر عليها ينغص لذة عدوه المتشفي الشامت والصبر صبران صبر العامة وهو تحمل الأشباح وصبر الخاصة وهو تحمل الأرواح

وقال حبيب بن أوس الطائي في هذا المعنى

لباس ذا الصبر مدرع به في الحادثات الجلل أدراع اللأم
والصبر بالأرواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالأجسام

قوله أدراع اللأم اللأمة الدروع والدرع لأمة وجمعها لأم وقال حبيب أيضا فأحسن

وإذا ابتأسي امرئ لعسره يوما فقد ابتهن صونه

وقال الهيثم بن جعفر

ويوم كأن المصطلين بحره وإن لم يكن نار قيام على الجمر

قوله سوح اي نجوهما سوا ۞ **وقلت في ذلك** ۞

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ... ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم ۞ ۞

الصبر اولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار ۞

من لزم الصبر على حالة ... كان على ايامه بالخيار ۞

مخطوطات جامعة الرياض

وقال عمرو ذو الكلب ۞

ومنعدكه قد كنت منها ∴ مكان الاصبعين من القبال

صبرت لها وكنت اخا حفاظ ∴ اذا خام اللئام عن النزال

فهذا المنية من ورائي ∴ ستطرقني بها احدى الليالي

قال محمد عفا الله عنه هذا انموذج من القول على الصبر على الجملة
وهو يتنوع انواعا والنوع اللايق بكتابي هذا منها هو صبر الملوك
وهو عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو ۞

والقوة

والقوة الثانية قوة الثبات والحفظ وثمرتها عمارة المملكة ۞ والقوة
الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملك الشاب وانما ثمرتها في حماية
المملكة من المقاتلة بالاقدام في المخافة ولا يراد من الملك الاقدام
في المخافة فان ذلك من الملوك تهور وطيش وتغرير ۞ وانما شجاعة الملك
ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام يحفزه
من يثق به ان يذب عنه ويدافع دونه ويحميه ۞ ولقد ذكرت
الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج فدخل قصر انوشروان كسرى والفيل
قد اغتلم اخر سواسه ولم يثبت له شيء الا اتى عليه واهلكه قالوا
وان ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى ومعه جماعة من اصحابه
فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى
على سريره وثبت معه اسوار من اساورته كان مكينا عنده يثق به وبثباته
فقام ذلك الاسوار من بين يدي سرير كسرى وبيده طبرزين وقصد الفيل
فقاتله حتى غشيه فضربه بالطبرزين ضربة على جبينه فنكص الفيل

راجعا وقد نالك منه القرب منالا شديدا وكسرى في هذا كله لم يتخلخل

عن مجلسه ولا تغيرت هيبته ولا فارقته أهبته فهذه غاية النجابة

المطلوبة من الملوك فإذا لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه حسن له

حينئذ أن يذب عن نفسه إما الإقدام على العدو إن غلب على ظنه

الامتناع منهم بالإقدام عليهم او ما نهزامه إن أتاه ما لا قبل له به

واتقى تخطيه عينه بملكه ● كما يحكى أن موسى الهادي

كان يوما في بستان له ومعه أهل بيته وبطانته وخاصته وهو

راكب على حمار وليس معه سلاح إذ دخل عليه حاجبه فأخبره أن رجلا

من الخوارج جيء به أسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فأمر بإدخاله

فادخل بين يدي رجلين ممسكا بيديه فلما رأى الخارجي الهادي جذب يديه

من الرجلين اللذين كانا ممسكانه واخترط سيف أحدهما ووثب على الهادي

ولما رأى ذلك من كان حول الهادي من أهله وخاصته فروا جميعا

وبقي الهادي وحده فثبت على حماره بمكانه حتى إذا قرب الخارجي منه وكاد

ان يعلوه

٤٩

أن يعلوه بالسيف قال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي

حين سمع ذلك فوثب الهادي عن سرجه فإذا هو على الخارجي وسقط

الخارجي من تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف

فذبحه به وعاد إلى ظهر حماره من فوره وتراجع إليه خاصته وأهله

يتنصلون وقد ملئوا منه رعبا وحبا فما خاطبهم في ذلك بحرف

ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيفه ولا يركب إلا الخيل وقد جلا عليك

هذا الخبر ما أبداه الله به موسى الهادي من ثبات الجأش وإصابة الرأي

وشدة الحذر وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله عليه وعلى

أهل بيته الطاهرين ● روضة رابعة ورياضة فا

قيل وصف لكسرى أنوشروان أرض من التخوم الهندية تتاخم إقليم بابل فذكرت له

بحسن المنظر وطيب الهوى والماء وكثرة الثمار وحصانة المعاقل ووصف له

أهل تلك البلد بعظم الجسوم وملاذ الهموم وشجاعة القلوب وقوة

الأبدان والصبر على العمارة وملازمة الطاعة ولين القيادة فنزهت نفس

كسرى الى تلك الارض والتكثر باهلها ⊙ وكان يقال الشره اعرق
الخصال في اللوم فالحرص ابوه الذي يولده ⊙ والبغي ابنه الذي يلده
والطمع شقيقه ⊙ والذل رفيقه ⊙ وكان يقال من شره وقع فيما يكره
وكان يقال الشره شره ينتجها طمع وينتجها طمع ⊙ قيل ولما
طمحت نفس انوشروان الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر انه
عظيم من ملوك الهند وانه شاب منقاد لشهواته متصل على لذاته
الا انه سالك صراط من العدل لا يجور وما لك نهلا من المدرك
ثغور البلاد برعيته قد اشرب قلوبهم وده وصرفت امالهم الى عزه
فندب له كسرى رجلا من ثقات اصحابه قد اقتبس ادبا من اداب
الملوك وتفقه في سياستهم وكان داهيا ومكرا وحزاما وامره
بتامل مسالك تلك الارض والبحث عن ثغورها ومعاقلها والاطلاع
على عوراتها والبحث عن اخلاق ملكها واهلها وكتب معه كتابا الى
ذلك الملك يدعوه فيه الى الدخول في طاعته ويحذره التعرض لعقوبته
مخالفته

مخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الملك واحسن قوله وبالغ
في تكرمته ودبره وعمي عليه الاخبار وبالغ في حجبه عن التصرف وقبض
الناس عن لقائه واخفيت عنه ولم يستطع الكتاب منه وندب
لاختباره وعلم ما فضله رجلا من ثقات اصحابه ودهاتهم فامره
بالتجسس على اسبابه والتلطف في مداخلته ومخالطته فانطلق ذلك
الجاسوس واكترى حانوتا بحذاء دار الرسول وملاه بخارا وجلس فيه ليبيع
البخار وكان للرسول غلام يختلف به في حوائجه ويتصرف في اموره فجعل
ذلك الجاسوس اذا راى ذلك الغلام تنزل له واكرمه وسأله عما له من
حاجة الى ان انس به الغلام وكان يجلس اليه ويستعين به في امره فلبث
بذلك مدة لا يسأله عن شيء من امر سيده فلما اكد انس الغلام به
قال له من تكون ومن لك في هذه الدار التي يدخلها فقال له الغلام صحبتني
منذ كذا وكذا ولا اعرفني فقال الجاسوس من انت علي فقال الغلام انا غلام
رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله

فقال الغلام كسرى ملك بابل ارسل سيدي الى ملك ارضكم فقال
الجاسوس الان عرفته حين ذكرت لي بابل لاني كنت في صباي اجيرا لرجل
من اهل بابل ثم امسك عن الغلام اياما لا يسله عن شي وكان يقال
التقبين تقبير وقيل السقيف ريبة الاريب وقيل من سرع الى الامانة
فلا لوم على من اتهمه بالاضاعة ومن اسرع في المشادلة في التر
فلا لوم على من اتهمه بالادعاء ومن نصح قبل ان يستنصح فلا لوم على
من اتهمه بالخداع ومن عني بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بخبث الطباع قيل ان الجاسوس قال يوما للغلام اذا خرج مولاك
فاريته فقال الغلام ان مولاي لا ينصرف فقال الجاسوس امريض هو قال
الغلام لا ولكن ملككم حظر عليه الخروج ومنع الناس الدخول اليه
فبكى الجاسوس فقال الغلام ما يبكيك فقال الجاسوس ابكتني الرحمة لمولاك
بما صوب به لاني ابتليت بمثل ما ابتلي به وذلك اني جلست مرة في دكان
على ومنعت امري من الدخول الي ولولا ان الله من علي برجل كان مجوسيا

معي وكان يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث مولاك او تسليه
فقال الغلام اني لا اعرف هذا ولا اعرف خبرا احدثه به فقال له الجاسوس
افا ادلك على ذلك فقال الغلام بلى ما احسن الي بذلك فقال الجاسوس اذا
خرجت من عند مولاك فطف في المدينة وتامل ما ترى فيها واذا رايت
جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واسمع ما يخوضون فيه واذا رجعت الى
سيدك وخلوت معه فقل له رايت كذا وكذا وسمعت من يقول كذا وكذا
فان في هذا تسلية له وايناسا من وحشته ويوشك ان اذا فعلت هذا معه
تحظى بذلك عنده ففعل الغلام ما امره به الجاسوس فقال له سيده من
دلك على هذا فقال الغلام انا فطنت له فقال له مولاه كلا ليس هذا
من ثوى عقلك فاخبرني من دلك عليه فقال الغلام دلني عليه
جار لنا يبيع الفخار وما ادري اجاهل هو ام ابله فقال له مولاه ومن
اين علمت جهله وبلهه فقال الغلام انه مضى له اكثر من شهر وهو لا يعرف
من انا ولا من سيدي وقد ذكرت له الملك كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع

الرسول ذلك استراب به ونفر منه وانه متجسس عليه لما رأى انه افرط في
تجاهله وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتمل في غلوه استقل
عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هنالك قناع المعقول
كسماع المعقول ۝ وكان يقال من لم يعرفك غائباً اذناه لم يعرفك شاهداً عيناه
قيل فلما سمع الرسول مقالة عبده امره ان يأتيه به ففعل ولما رآه الرسول
حقق ما كان ظنه به من كونه انه جاسوس عليه فاكرمه وقربه وتطلق
له بجميل وصباوة لا مزيد عليها وسأله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
يتفقد حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية ولما ظن ذلك الجاسوس
انه قد حصل ما اراد تحصيله من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره
انه لا ذكاء له ولا غناء عنده غير انه ذو تحدث ورسيه فوثق الملك بقوله
وتخيل الرسول بالصورة التي مثلها بها الجاسوس وكان يقال لا تكون سمعك
لاول مخبر ولا تفتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر تدخله الصدق
والكذب فالقضاء له باحدهما قبل الامتحان جور ۝ وكان يقال انما تقضي بصدق

الخبر

الخبر عصمة المخبر لا صدقه وشرح ذلك لان المخبر الصادق اذا لم يكن معصوماً
فهو عرضة للدسائس وفرصة للتلبيس وكون المخبر ثقة صدوقاً انما يفيد
سلامته من التحريف فيما نقله ولا يفيد عصمته ادراكه فيما ادركه فقد
ينظر الصادق العقل الى النجم فيخبر انها غير سائرة وينظر الى القمر ودونه
مقطعات السحاب فيخبر انه ادرك سرعة سيره وينظر من سفينة جارية الى
البر فيظن ان البر يجري وينظر الى الغال السعودي فيعجز عن الاشياء بخلاف ما
هي عليه ويسمع كلام الببغا المجربة عن بصره فيخبر انه انسان فلم يدخل
الخلل من جهة تحريفه ولكن من جهة ادراكه قيل فلما رأى الازكن بعال
جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه وخاطبه بكل قول حسن واخذ
منه الكتاب وخلع عليه واجزل صلته ورده الى منزله مكرماً مبروراً
واباح له التصرف فاباح الى الناس الدخول اليه وتابع اتحافه وتكرمه ولبث
عاماً ثم استحضره وسلم اليه جواب كتابه واعطاه هدية لكسرى فكان منها
سنبقا طو لحشية اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يفعل في الحديد مثل ما

تشغل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الأزرق تسع منا
من الطعام ⊙ وكان سائر الزمرد البحري يسع رطلا من الشراب وألف درة
فريدة ⊙ وقنديل من الكمافيه ياقوته حمراء كبيضة الحمام إذا علق في بيت
فيه مصابيح لبلالة التي شعاع الياقوتة على الألوان المقابلة للحمرة فلا تشك
في حمرتها ⊙ وطيبا كثيرا وعودا وعا ودرقا وغير ذلك ⊙ وحصل الرسول
حباء وذخائر نفيسة وصرفه إلى مرسله ⊙ فلما قدم الرسول على كسرى
سأله عما ندبه إليه ليعرفه فأخبره بطيب تلك الأرض وفضائل خصائصها
وشرف مراياها وحصانة ثغورها وأنه لم يجد لها عورة تؤتى منها الأعداء
سكانها فإن عقولهم تنهضهم لقبول الخدع محجوبة عن النظر في العواقب
وأن هذا موجب حسن طاعتهم لمن ألفوا طاعته ولو ندب إليهم رجال يحسنون
نصب الدعوات إلى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم
فإذا انصرف بطاعتهم عن ملكهم لم تقم لملكهم بعد قائمة لأنهم أعضاده
الذين يصول بهم وهم في الرخاء ثمار مجتناة وفي الشدة سيوف منتضاة ⊙

فنظر

فنظر كسرى فيما كتب له به الأركن فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف
بفضله وتملقه ورغب إليه في الموادعة والمواخاة فاستشار كسرى وزراءه
في أمره وأعلمهم أن نفسه لا تطيب بما لمنه فاختلفوا عليه فأجمع
على أن يرد إليه هديته ففعل ثم إنه ندب لاستنفاد عيبته رجالا
يحسنون نصب الدعوات وأقلاب الدول وأمدهم بالأموال وأزاح عللهم
وبين لهم مثالا يحتذون عليه فنفذوا لما أمرهم به حتى انتهوا إلى مملكة ذلك
الأركن فتفرقوا فيها وأعمل كل واحد منهم قوته فيما استدل به فلما أتى
عليهم عام نال أحكموا لما أرادوا من ذلك في دار مملكة الأركن وفي غيرها
من مدنه وحصونه ورساتيقه وكتبوا بذلك إلى كسرى فحرك إليهم
المرزبان المتولي ربع المملكة المقابلة لتلك الجهة الهندية وذلك أن إقليم
بابل كان مصروفا إلى أربعة مرازبة لكل مرزبان منهم خمسون ألف مقاتل فلما
شرع ذلك المرزبان في الجند والأعداد كتب عيون الأركن بتلك الجهة إليه
يخبرونه بأن المرزبان المجاور لجهة بلاده قد أخذ في جمع الأجناد وإنما

⊙ هب

للاستعداد معلم الاركن لقصد المرزبان اليه وبجم النفاق ببلده وتحدث
الناس بما كانوا يخفونه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته
وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة
رجال اربعة منهم وزراؤه والخامس هو صاحب بيوت النيران وهو رئيس
الزمازمة والذين ياخذون عن دينهم فجمعهم الاركن وعرفهم ما بلغه من فساد
قلوب رعيته وحسد المرزبان اليه واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا
يتناظرون في ابتغاء صواب الراي فقال احد الوزراء الراي عندي ان يستصلح
الملك رعيته فيملا ايديها رغبات وقلوبها اما لا حتى يستقيم معوجها ويانس
نافرها من عدونا ان علم ذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بكلمة مجتمعة
وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح هذا من الرعية لو كان فساد ها
بوجه هضم جور او عقب نبوة فيزال عنها افسادها فتصلح ولكن رغبة الملك
تفسد الصفقة وانما اورد عليها الفساد جهلها بمواقع الصواب وبطرها بادرار ف
النعم وقد قيل اربعة اذا افسدهم البطر لم يزدهم التكرمة الا فسادا

الولد

الولد والزوجة والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا للقوى الاربعة المردولة
اذا هاجت لتخطي حدود المصلحة وهي الغضب اذا تعدى حد الشجاعة
وحد الانفة من الرذايل والشهوة اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتسا ب
الفضايل والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى حد راحة الجسم من
كد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربعة اذا تعدت هذه الحدود لم
تردها المداراة والرفق الا هيجانا وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها فقال
الملك صدق الحكيم ثم قال وزير اخر من الاربعة الراي عندي ان نصرف من
صلح من الرعية عن فسد منها حتى تستقيم لنا وتستوثق لنا ثم بلغني عن
عدونا الا خاف دغلة ولا اخذ غشه لانا مضطرون الى الحرب لكون
عدونا لا يرضيه الا اخذ ما بايدينا اجمله فقال رئيس الزمازمة هذا
ابلغ لعدونا من حيلته واذى لطاعته من دعاته مع انه اذا علم تحزبنا
بما بيننا تباينا ضعفت هيبتنا من قلبه وولع بنا امله وقد قال الحكما
اربعة من استعملها بالعنف والردع في اربعة احوال هلك بها الملك

في حال غضبه ۝ والسيل في حال صدمته ۝ والفيل في حال غلمته والعامة
في حال هيجها وتمردها ۝ وقالوا ان اشبه شيء بردع العامة عند تمردها
وتهيجها معاناة الجدري في حال انبعاثه الى سطح الجسد فالا طلبه الراد عنه ۝
فقال الملك صدق الحكيم ۝ فقال وزير مالك الراي عندي ان نطلب اولا
نعين من قد انقطعنه من الرعية بتميزه من سواه ثم نسير بارائنا
فيه بما يقتضيه حاله من كثرة او قلة او نباهة او ضعة او ضعف
او قوة فنقابله بما توجب حاله من التدبير ۝ فقال رئيس الزمازمة
البحث الان عن هذا امر خطر لانه يوحش المريب فحركه على اللحاق بعدونا
واعتماده ما النصائح علينا ودلالته على عوراتنا واذا التحق بعدونا فاقبل
معه على بصيرة لبست لعدونا وبدا حصنه في الرعية الى وطنه واهله
وماله وعدونا لا يبقا لما يلتنبه على امثال ذلك ومتى لم ينفصل عنا المريب بل
بقا ومنا في موضعنا وباشنا ونبكته علينا انسلابه من الرعية
نبصره وان لم يكن على مثل رايه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين لا عهد لهما
تعاديهما

تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذيب اذا ابصراه ولا يلتفتان
الى تحقق الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما يتآزران ويصطلحان في التعاون
عليه نظرا الى خصيصي توحشه وانفته وجراته فكذلك العالي
لا ينظر الى الملك من حيث حقيقته في الخلق الانساني بل ينظر اليه من
خصيصي تفرده وانفته وعلو همته فيتاحر لذلك بالف العالي الذي
يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكلة ۝ وقد قالت الحكما ثلاثة لا تعرفهم
بالامتحان في ثلثة احوال اخبرهم مودتك في حال استقلالك وصديقك ۝
في حال اختلالك وامراتك في حال اكتسالك والرعية كالزوجة وادبار
الدولة كالاكتهال وقالوا مثل ذلك مثل امتحان قوى معدة الناقه من
من الامراض بالاطعمة الغليظة ۝ فقال الملك صدق الحكيم ۝
فقال وزيره الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا ۝ اما انا فاحدث
الملك حديثا اخبرني به مؤدبي وكان اخر ما ادبني به وقال لي اخزن
هذا الحديث في حبة قلبك وانتمى ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه

واني لأحسبه بهذا اليوم فقال الملك قل نسمع حديثك فقال بهس الرابع ارى انه

ما اولاه بالاصابة فقالت الوزراء الثلثة انه لكذلك فقال الوزير

الرابع انما نحن كالاصابع للراحة في افتقار بعضها الى بعض وقوة بعضها

ببعض وتزين بعضها بعضا ثم انا نستمد من نور عقل الملك السعيد

بنظرنا اليه كما تستمد الدراري من نور الشمس وكلنا الى الملك محتاج وبه

مقتد فقال الملك بل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن بعث

عنه فانتم في مناصحتنا والغناء عنا والاداء الينا كالحواس الخمس للقلب

تستمد واله اجمعون ⊙ ثم قال ذلك الوزير الرابع زعموا ان رجلا

من التجار كان موسرا وكان ياوي في داره الى بيت مبطن السقف وفيما

بين ذلك السقف وبطانته فيران كثيرة فكن فيما يسرون ويدعون من الاسنة

وبسبب الطعم يمرحن النهار كله على حال طايبة فاذا جا الليل نزلن

من السقف يتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن وأخذن

فكن اذاهن على التاجر وانه دخل يوما مسكنه ذلك واستلقى فيه

مفكرا

٥٧

مفكرا في بعض شانه وجعلت الفيران يخرجن على بطانة السقف

والتراب يتساقط من خلل الالواح على التاجر فضجر التاجر من ذلك وثب

مبادرا امر بتحويل ما في البيت من الامتعة وامر عبيده بقلع بطانة السقف

وانتشر الفيران في البيت فقتلهن شر قتلة ولم ينج منهن الا جرذ وفارة

وكانتا غائبتين عن السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع

الفيران في الدار اغمهما ذلك ⊙ واقبل الجرذ على الفارة فقال لها لقد صدق

الحكيم في مقالته ⊙ من صحب الدنيا واثقا بها كان كالنايم في الظل

الذي يكون قبل طلوع الشمس الى نصف النهار فلا يلبث الا قليلا حتى ينقلص الظل

عنه فيوقظه حر الشمس ولا يجد للظل عينا ولا اثرا فقالت الفارة

صدقت فماذا ترى فقال الجرذ ارى ان لا اسكن موضعا ينال منه هذا

المنال وافر من الانس جهدي فانهم يجمعهم شدة بطشهم وحيلهم انضا قوة من غيرهم

من العوالم فقالت الفارة انا معك فانطلقا معا حتى اتيا ارضا بوارا

بحذائها اخلاط من الوحش بكهف واديا معشبا فيه غدير ما جار بان

وسلاحف وضفادع فأعجبهما ذلك وسارا معاً الوادي يلتمسان موضعاً
يحفران فيه جحرهما فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي قد انجاب
عنها السيل يميناً وشمالاً فاحتفرا في اصل ذلك الربوة جحراً ارتضياه واو طناه
وانهما غدوا يوماً من الايام تلك الترابية فرايا في اعلاهما يربوعاً قد علت
منه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما وسالهما عن امرهما فاخبراه الا ان
ذكرا انهما اوطنا جحراً في اصل تلك الربوة فقال لهما اليربوع لولا ان
النصح كثيراً ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا الى ذلك
فقال الم انه كان يقال اربع لا تقدم عليها حتى تسل عنها الخبير بها
السوق لا تقدم عليها حتى تسل عن النافق والكاسد بها ۝ والمراة لا تقدم
على خطبتها حتى تسل عن منصبها وخلقها ۝ والطريق لا تسلكها حتى
تسل عن امنها وخوفها ۝ والبلد لا توطنها حتى تسل عن مرافقها وسيرة
سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يجاور اهلها وعاداتهم وكان
يقال انظر الى المستقبح فان اياك بما يبصر غيرك ولا ينفعك واعلم انه شر
فاجتنبه

فان اياك بما ينفعك ولا يبصر غيرك فاعلم انه طامع ۝ وان اياك بما ينفعك
ولا يبصر غيرك فاعلم انه ناصح فعول عليه واصغ له وكان يقال
ان لم تعرف ما اصلحك على نفسك كان ما اصلحك لكن بيوم تقويم ظل عود قد نصب
معوجاً قبل ان يقيم العود في منصبه ۝ وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب
على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره فيما يريد به عليه اصح دلالة
وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان المتعاطي بها المتحلقين به
شراً او يعرضه في مواسم الخزي وهذا كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل
يتعاطى العلم وكالفقير يتعاطى الغناء ۝ وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة
في امر فشاور ذوي الحكمة والتجربة في طبقتك وذوي الصناعة ولا تعد ل
عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لانه خارج عن
عالم خصائصك واعلما انه قد جمعني واياكما مناسبة صناعية وهي
حفر الجحرة الا اني في علمها ارسخ منكما فان تنقلا عن جحركما فانه بيس الجحر ومن
شر الاوطان وانا ان نجد هذه الارض والخبير بها وقد قيل من ارصاحا برها

فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا ماوى سواه فخرجا من عند اليربوع نهارنه ونسخرا
منه وينسانه الى الاجر والخرف فرجعا الى جحرهما فلبثا به مدة طويله وو لدا
فيه اولادهم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه
ثم عاد فاصعد الى الربوة واذا السيل جرى في ذلك الوادي فاخذ بالربوة
وارتفع حتى صارت الربوة في مثل البحر العجاج فوقف على ضفة الوادي
ينظر متحسرا لفساد وطنه وهلاك الفه وولده وذهاب ما اعد من
طعمه فراى اليربوع فايما على الربوة امنا فناداه اليربوع ايها الجرذ كيف
وجدت ثمرة اضاعة الحزم ومعصية الخبير الناصح قال الجرذ وجدتها
مرة فقال اليربوع للجرذ هون عليك وخفض من حزنك فان النعمة في بقا نفسك
تربي على المصيبة باهلك وولدك فاانس النعمة بالشكر يالفك فتستمتع بها وانه
كان يقال الطهر البشر لثلثة الصديق والكريم والنعمة وكان يقال الجراة بدهيله
اساه من كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكان يقال اذا
احسن اليك محسن ثم شكر لك فاصابك منه اساة فلا تنقبض عنه ودم على شكره

له وتبرك به فان ذلك اوجه شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان اشفا
ايها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك وحق قبل للعاقل ان يصحب العلما المهذبين
بالحكمة والادب ولو كنت ذا خبرة لعلمت انك ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود
هذه الربوة الكدود وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر اقتضته
الحكمة واوجبه الراي المصيب ثم ان الجرذ سال حتى ذهب السيل فصعد الى
الربوة فاتخذ جحرا الى جانب جحر اليربوع واوطنه امنا فقرت العين فهذا ما
اخبرني به موبذي فقال الملك صدقت ايها الوزير الصالح قاتلا وسددت
ناصحا واصبت مبشرا وتلطفت مبلغا ودعوت سميعا فالتمس لنا ربوة نرتجي
الاستقرار بها ونلزم انفسنا الصبر على صعودها ونقصر فيها على ما الوف ملاذها
وانبساطها في هذا العالم الخبيث البنا ولعنا نجتني السلامة التي اجتناها
اليربوع من سبل هذه الفتن فقال الوزير ايها الملك السعيد المقتدي
بالنفوس الزكية عش سعيدا ابد الليالي تهنى ومايتمنا املتسه من العجب فقولك
ما نهديها اليك من نعمك نحلو عليك من حلك اي نعوف في ناجية من

ممالكك بعقلاء تعلو بنيته على أهل الأرض الطلال تحل على الكواكب تقابل ذو نك
الأفكار المجدة والأبصار الطامحة وهو مع ذلك جدد هواء عليل وماء سلسبيل
وحدائق باسقة ومرافق متناسقة وقد كان بعض سلف الملك لسعيد عني به
بعض العناية فقطع عليه أمله الدثور الحتم القاطع عقد الحياة فلما سمع
الملك ما دله عليه وزيره ملئ سرورا وركب مبادرا من فوره في خاصته
وثقاته حتى إلى ذلك الموضع الذي دله عليه الوزير فوجده في رأيه عين فضل ما
صوره الوزير في نفسه ووجد به رسوما وبقية وآثارا أفناها بعض من تقدم
من آبائه فحشد إليه المهندسين والصناع والبنائين وأمرهم بالجد في إكماله ٩
وبادر البناء من فوره ينقل إليه خاص بيوت أمواله وخزائن سلاحه ونفائس
ذخائره وحشد رعيته لحمل الأزواد التي لم يفتر طويل البقاء وأعد لزواله عدة
وهو مع ذلك يسد الثغور ويجند الأجناد ويشيد الحصون فلما مضت له ثلاثة
أشهر من يوم كتبت له جواسيسه بحركة المرزبان إليه أنهم المرزبان نحوه
في الجيوش المتوافرة والعدة الكاملة وظهرت دعاته كثيرة بتلك الناحية

فيمن استفسدوه من الرعية فغلبوا على ما يليهم من البلاد واستعمل المرزبان
عليها عاملا من ثقات أصحابه ورتب فيها حماة من جنوده ومن أهلها ثم دبّ
بطوي الأرض المملكة طيا فوافته جيوش الأركن فدافعته بعض الدفاع ثم انهزم
من كان في نفسه دغل فانهزم المناصحون بانهزامهم فاستولى المرزبان على عسكر
الأركن واستبقى النفوس وأخذ الأموال ثم جاوزهم يطوي الأرض طيا وكان
الأركن عندما أقحم المرزبان نحوه قد بعث يجتبي أهلها إلى ذلك المعقل وجمع وجوه
ملطي حضرته فوعظهم وذكر لهم ما سلف إليهم من إحسانه وذكر ما بلغه عنهم
من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيء منهم فتبرموا لما
قذفوا به عنده وحلفوا له على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم
الملك أي لم أجمعكم عندا ولست بآمل عن عدوي ولا مستبعد الظفر به
والنصر عليه ولم يعزب عن أحد منكم غير أنه أخبرني بعض وزرائي عن ملك من سلفنا
أنه شرع في بناء معقل وعني به بعض العناية فحال بينه وبين ما أراد من ذلك
الانحلال المحتوم على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه حذر قول الحكيم إن أبر

الملوك من تم به سعي سلفه واعفهم من انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت ان اجعل
ذلك اخفر من عدوي وحاجبي لقول الحكماء ان احزم الرعاة من اعد لقضا المصايب العول
احكاما وقولهم يجب على العاقل ان لا يخلوا من خمسة معاقل يتحصن فيها احدها
وزير صالح يتحصن برايه والثاني سيف قاطع يتحصن به اذا غشي والثالث
فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات والرابع امراة جميلة يحصنها
فرجه والخامس قلعة منيعة يتحصن بها اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل
لتكمل به حصوني وتعلمته ذخايري وما بكم على من اراد منكم ان يقتدي بي
في فعلي اخذا بالحزم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم امرهم فخرجوا من عنده
فاقتدى به من كان ذا عقل وحزم فجهز والى ذلك المعقل اهاليهم واموالهم واقواتهم
واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طي السجل لا يعارضه جيش الا هزمه
حتى اشرف على حضرة الاركز فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد
كان الاركز امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج الاركز في
اربعة الف فارس من عبيده وخاصته ونقاوة اصحابه فقام بهم في ناحية بمعزل
عن

عن جيوشه ورعيته بظاهر المدينة وتهيا للقتال ورتب صفوفه وكان في
المدينة داعيان من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج الملك
عن المدينة فظهرا واتبعهما من كان اطاعهما فوثبوا على خليفة الاركز فقتلوه
واستولوا على المدينة وضبطوها وبينا الملك قايما في جنوده بظاهر المدينة
اتاه رئيس الزمازمة حاسرا خايبا يلطم وجهه وينتف شعره فامر الملك بحمله
على فيله واستخبره فاخبره بذهاب دار ملكه وفساد رعيته وخيانتهم فانحاز
الملك في خاصته ومن كان ذا بصيرة في طاعته وتوجهوا حامية نحو الحصن
وانتهى خبره الى المرزبان بان قد دخل الحصن لاتباعه فادركوه فوقف بازايهم من كفى امرهم
وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه قصد المدينة فدخلها وضبطها
وملك اهلها واحكم امرها ثم سار بجيوشه الى ذلك الحصن فراى منظرا عجيبا
رايعا لم يمكنه النزول بالقرب منه فنكص الى حيث امن ونزل في جيوشه متحفظا
وكتب الى الملك الهندي كتابا يخاطبه فيه بالتعظيم والاجلال ويعرض عليه خصالا
منها ان يرده الى مملكته مكرما على ان يدين بطاعة كسرى فلما انتهى رسول

المرزبان الى الازكن حجبه ولم ياخذ كتابه وامن بالعود الى مرسله
فيئس المرزبان منه وكان يقال صرفك النصر الى عدوك اضاعه
واصغاوك السمع الى حديثه طاعه وكان يقال اذا امكنت
عدوك من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهق
نحره ○ وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا ○ وهو لا يرجو
عنده نفعا ○ وكان يقال اذا عجزت عن التخلص عن كلام عدوك
فانت عن التخلص من كيده اعجز ○ ثم ان المرزبان عاد الى المدينه
وكتب الى كسرى بالفتح وبما تهيا له من الامور ○ فامره كسرى
ان يقيم بتلك المملكه ويترك التعرض لذلك الازكن في حصنه
الا ان يبدو منه امر فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المصالح
في جهات حصنه ○ ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك
مده وجعل اغنام الفرس يعيثون في تلك المملكه ويعاملون
اهلها بالفظاظه والغلظه التي طبع الهند على ضدها فذهبت
الشحنا

٦٧ الشحنا في النفوس وحاطت اهل تلك المملكه الغيره لما راوا ان تخرج
ارضهم تحمل الى غيرهم وينفق في غير اهلهم وعرفوا افضل ما كانوا فيه ومشقه
ما صاروا اليه فبسطوا السنتهم فخاف المرزبان ان يردعهم بالقول
فيستوحشوا منه فكف عنهم فكان ذلك داعيه الى زيادتهم في بسط
الالسنه ○ وكان يقال الذي الرعيه تبعه لا لسنتها فاذا قدرت على
ان تقول قدرت على ان تصول وكان يقال ترك نكير الصغاير مدعاة الى
الكباير فاول نشوز المراه كلمة سو تحتمل عليها واول حران الدابه حيده سو تعد ن ○
عليها قبل واما الازكن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراه
فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذى وبسط العدل والاحسان وتامين
السبل واجارة المستجير وتالف المتوحش والاخذ بالفضل والعفو فاتخذ هذه
الخلال شعارا يدبر بها فازدادت سمعته حسنا والقلوب اليه ميلا
والالسنه له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور
اسا السيره فقام اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره

أنهى ذلك فكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض أمره
ويألب العامة عليه فكتب المرزبان يأمره بتوجيهه اليه مقيدا فأخذ
العامل الرجل فقيده وبعث به الى المرزبان مع رجال من الجنود فتبعهم
أحداث من فتيان تلك الثغور وقاتلوهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل
واطلقوه فأتى الرجل العامل فأخبره بما فعل اولئك الاحداث وانه عجز
عن دفعهم فأمر به العامل فضربت عنقه وكان ذا منزلة عند اهل بلده
فوثبوا على العامل فقتلوه وملكوا اكثر رجاله وضبطوا رساتيقهم
وثغورهم وانضوى اليهم من كان على مثل رأيهم ومن كان في غير حصن
وكانوا من بلدهم فأجابوهم الى مثل صنيعهم وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة
لكسرى في مواضع كثيرة في تلك المملكة في اسرع وقت ولما انتهى ذلك
الى المرزبان جمع جنده وضبط حضرته على حال ذعر وشدة خوف وكتب
الى كسرى يستمده وكان اهل حضرته لما خرج عنهم رئيس الزمازمة توجه
مع ملكهم الى حضرته قدموا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم فلما

راى

رأى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي وقصده من خالفه بالمحنة والعقوبة
٦٢ دخل عليه المرزبان وقال له اني اريد ان اسألك عن شيء ظننت علمه عندك
فقال المرزبان قل فقال رئيس الزمازمة بلغني مما اوصى به اردشير
بن بابك ملك بابل ابنه بهرام انه قال قد يصح الرغبة بعنف السلامة الى
ما تريد من المعصية وانه قال في وصية ينبغي السياسة لمن يغلب على
ملك وغصبه ربه ان يحفظ الصورة والشريطة التي يتسلم عليها تلك
المملكة فانها محفوظة عليه وثابتة في عقد يتسلم تلك المملكة منه انها
ستخرج من يده بمثل ما صارت اليه وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة
في مجلسه بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان ما اراد الا انه احب
الوقوف على آخر ما عنده فقال له الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال
رئيس الزمازمة اذا كان الامر على ما بلغني فما لك لم تستعمل الحكمة
التي علمت بعقبها في سياسة الرعية عنفا اخرجها ولعله ان يخرجها
ولم تخله خروج هذه المملكة من يديك بمثل ما صارت اليك فلما سمع

المرزبان

فمال به رئيس الزمانة استقره وهدّه وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن
فسقط الى الارض مغشيا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت المصيبة
لموته وشانت القالة وبحث الناس من الشقاق بما كانت منقصة عنه
وفشا ذلك في الرعية ففشوا اماما فاستخص المرزبان وجوه من بحضرته
فوعظهم وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العاقبة فارضوه بالسنتهم
وتسللوا عنه وغلظ امر اهل الاطراف المستنقضة وشغل عنهم المرزبان
بتحصين البيضة فبعثوا رسلا الى الازكن الذي كان ملكهم يسالونه الصفح
عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتخيرونه فاعطاهم امانا عاما واستعمل
عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستبصروا في طاعته ونصحوا في
منين الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا فبعث فعادوا منه
مفلولين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه فحصن دار الملك واستخلف
عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى عدوه فلما انفصل عن المدينة
وثب اهلها باصحابه فاثخنوا فيهم قتلا وتشريدا واخرجوا من مدينتهم وبلغ ذلك

المرزبان

٦٤ المرزبان فاستنفر لحربهم جاء من بلاد المملكة حتى تقدم على كرسي طرسيا
مغلولا وعاد الازكن الى دار ملكه فجرى على سنن العدل والاخذ بالحزم
وقمع شهواته واستعمل الحكمة التي افادته التجارب ايها **روضة**
رائقة وباصرة بلغني ان امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت ان رجلا صدوقا اخبرني
عن نفسي وعن هؤلاء الذين حصروه فقام شاب من الانصار فقال
انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطاطات لهم فركبوك وتخادعت لهم فسلبوك
وما جراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت اجلس ثم قال له هل لك
علم بما تشب الفتن قال نعم يا امير المؤمنين سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان
باقعة قد نقب في البلاد وعلم علما جما فقال لي ان الفتنة يثيرها امران احدهما
اثرة تضغن الخاصة والثاني حلم يجري العامة فقال عثمان رضي الله عنه فهل
سالته عما يخمدها قال نعم وقال لي ان الذي يخمد الفتن في ابتدائها استقالة
العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة واذا استحكمت الفتنة فلا يخمدها الا الحزم مع الصبر

فقال عثمان رضي الله عنه حسبه نعوذ ذلك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

تفسير الالفاظ التي اشتمل عليها هذا الخبر قوله بائقة اي داهية تحرب
ويقال فلان بائقة تطلع اذا طرق بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله الاثرة
هي اختصاص بعض المستحقين للشي به دون بعض وقوله الحامة يعني الخاصة
وقوله تضغن اي تحقد والضغن الحقد وقوله الازم هو الصبر والحصر وحقيقته
الامساك على الشي بالاسنان • قال محمد عفا الله عنه هذا الحديث
ينحو الى ما ذكره الفرس ان يزدجرد بن بهرام سال حكيما من الفلاسفة ما
صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد بالعدل
وامن السبل وانصاف المظلوم • قال فما صلاح الملك قال وزراؤه اذا اصلحوا
صلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما
يثيرها وما يسكنها اذا ثارت قال يظهرها جرأة عامة وتولدها استخفاف خاصة
وتذكيها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامن معسر وغفلة
ملتذ ويقظة محروم فقال يزدجرد وما الذي يسكنها ايها الفاضل قال يسكنها

قال

قال يسكنها ايها الملك قال اخذ العدة لما يخاف وايثار الجد حين يلتذ
بالهزل والعمل بالحزم والادراع بالصبر والرضا عن القضا • 65

الباب الرابع في سيرة الرضى •

قال الله • تعالى تقدس اسمه عائبا من خطا حكمته وتدبيره وسخط •
قسمته وتقديره فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
ثم نبههم على ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
ووصف صفوته من خلقه بالرضى فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومن ما
ينبهك يعني رضي الله عنهم ورضاهم عنه ما روي ان موسى عليه السلام
قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحى الله عز وجل اليه انك
لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا الى الله سبحانه فاوحى الله عز وجل
اليه يا ابن عمران ان رضاي برضاك بقضاي • ترغيب في الرضى •
من ما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسالك الرضى بعد القضاء •

قيل انما قال بعد القضا لان الرضا قبل القضاء انما هو عبارة عن العزم على الرضى
وتوطين النفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يحقق الرضى بالقضاء بعد حصول
القضاء خبر نبوي في مثل ذلك من ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم ٥
لقي رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجة فانكره النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له ما الذي بلغ بك ما ارى فقال المرض والحاجة يا رسول الله فقال له افلا
اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله به عنك فقال والذي بعثك ما احب ان
ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاهل بدر والحديبية ما للقانع الراضي منثوره
ومنظوم حكم في الرضى روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى ابي موسى الاشعري ٥ اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت
ان ترضى والا فاصبر ٥ اعلم رحمك الله ان الرضى هو اطراح الاقتراح
على العالم بالصلاح ٥ اذا كان القدر حقا كان سخطه حمقا من رضي حظي
ومن ترك الاقتراح افلح واستراح كن بالرضى عاملا قبل ان تكون له معمولا

ومن اتيه عادلا ولا امرت نحوه معدولا ٥ وقيل للحسن البصري من
اين اتى الخلق فقال من قلة الرضى عن الله عز وجل فقيل له ومن اين اتى قلة رضا هم ٥
عن الله تعالى فقال من قلة المعرفة بالله عز وجل ومن ما قلته في الرضى ٥

يا مفزعي في ما يجي ومراحمتي في ما مضى ٥
عندي لما تقضيه ما ترضيه من حسن الرضى ٥
ومن القطيعة استعيذ مصرحا ومعرضا ٥ ومن ذلك
كن من مدبرك الحكيم علا وجل على وجل ٥
وارض القضا فانه حتم اجل وله اجل ٥ ومن ذلك
يا من رعى حالي وان لبثت في غير ما يرضيه اوطاري ٥
ولبست لي طمعا ولا عليه لي انصار ٥
حاشى لذاك الفضل والقران يهلك من اتاه لجار ٥
فان تساهلني فيا مرحبا وكبر ما تقضي وتختار ٥
كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن فيه كون النار ٥

ومن ذلك • إذا أنا لم أدفع قضاءً كرهته • بشيء سوى تخطيه وبرمي
فصبري له من حسن معرفتي به • كما أن رضواني به من تكرمي

روضة رابعة ورياضة فائقة قيل إن يزدجرد الأثيم بن سابور ذي الأكتاف
لما وُلد له ابنه بهرام جور أخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده
ومصير الملك إليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وأنه ينشأ بين أمة
ناشئة ذات همم علية وحلوم زكية ونفوس أبية وبهم يصير الملك إليه
فأجال يزدجرد فكره في خصائص الأمم ومزاياها فرأى أن العرب أولى
الأمم بتلك الأخلاق التي وصفها له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب
إلى النعمان الأكبر بن امرئ القيس عدي بن نصر اللخمي فأحضره وأشخص إليه
جماعة وافرة من رؤساء العرب وسادتها فوصلهم وأبرهم وأخبرهم بما يريده
من تمليك النعمان عليهم فأنعموا له بذلك فتوج المنذر وتوجه وملكه
على العرب وسلم إليه ابنه بهرام وأمره بكفالته فاسترضع له النعمان أربع
نسوة صحيحات الجسوم ذكيات الفهوم سليمات الأعراق زكيات الأخلاق

امرأتين من العرب وامرأتين من الفرس وأجرى عليهن ما يصلحهن وأكرى بهرام
إلى بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق من طيب هوائه وفضيلة مائه فأرضع
المرضعات بهرام أربعة أعوام ثم فصلنه وقد كان غلاماً ما جفر المترعرع
شبابه ولما استكمل بهرام خمسة أعوام قال للنعمان انظر في تعليمي ما يحتاج
الملوك إلى علمه فجرت بينهما في ذلك محاورة قد أودعتها كتابي المسمى [illegible]
المضمن أنباء نجباء الأبناء • فكتب النعمان إلى يزدجرد يسأله أن ينفذ إلى ابنه
رجالاً من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي كتابتهم فأرسل إليه يزدجرد حاجته
منهم ثم إن النعمان ضم إلى بهرام رجلاً من علماء العرب وحكمائها وأدهاها
كان عالماً بالسياسة وخبيراً بكثير من اللغات وحفظ الأخبار الملوك وسيرها
ومعرفة بأيام العرب وغيرها وكان اسمه طسا فأفاد بهرام كل واحد من معلميه
ما عنده من العلم فلما استكمل من السن اثنتي عشرة سنة فاق معلميه
كلهم واعترفوا بفضيلته عليهم واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان مكرمين
وكره بهرام مفارقة طسا لكونه يجد عنده من المحاسن والآداب السياسية

والأخبار والادب ما لم يره مجتمعا في غيره واستعدى النعمن من يزدجرد
من يعلم ولده الرماية والفروسية وما يحتاج اليه المحارب فبعث اليه
يزدجرد بمن اراد منهم فكانوا عند النعمان ثلاث سنين فاستفاد جميع
ما عندهم من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جلسا يشغفه به
فلما استوفى من السن خمس عشرة سنة استاذن النعمان الملك يزدجرد
في القدوم عليه بولده فاذن له في ذلك فوفد النعمان على يزدجرد بابنه بهرام
واوفد معه رؤسا العرب وزعماها واحسن يزدجرد وفادتهم واجزل
صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه بهرام عنده
واختص بهرام جلسا العلوق بنفسه به وكان يزدجرد فظا غليظا ظالما
عبوسا شديد الحجر غليظ الحجاب مجتريا على سفك الدماء واغتصاب
الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها وانته
وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره
وضاق ذرعه فشكا ذلك الى جلسه فرق جلسه لشكواه ثم اقبل عليه
فقال له ما

فقال له ما معناه جلا الله كربك واعلا كعبك واطاب ذكرك في قلوب
الامم وافواهها وكتب لعزك ملوك العرب والعجم جباههم ان اولى
الناس بمحاسن النصيحة من كان معروفا بها ومندوبا لها ومدعوا اليها
ومخصوصا عليه وانه كان يقال النصيحة بشعة المبادي حلوة العواقب
فهي كالادوية يبشع استعمالها وتسر مالها وتحمد عقباها ويحمد غبها وكان يقال
الامين يصحب الملك بالتقرب على الحرمة والمبالغة على النصيحة والخاين
يصحب الملك بحسن المداراة وافراط التذلل وكان يقال انما يسعد النصحاء
بالملك اذا كان مؤيدا بفضيلة العقل وان لم يكن كذلك شقي به النصحا
وسعد به ذوو الملق وهذا لان الناصح يشفق على من نصح له من عقله
وذو العقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللوم ان يضن بالنصح عمن سمح لك
بالنفقة وان يستر الصواب عمن هتك لك حجاب سره وكان يقال اولى الفضلا
النصحا بقبولك منه وامالك عليه من كانت سعادتك شرطا في سعادته
وعلته لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه لك سعي لنفسه وذبه

عنك ذنب عنهما ثم قال حليس لبهرام انه قد ساءني تبرم ابن الملك وضجره لما لقي
من خلوة ابيه الملك وانا اشير على ابن الملك باظهار المسرة بما اظهره
البرم والضجر اذا كان الملك قد استعمله على عمل الابن العامل وبين
لاظهار البشر والطلاقة وان من عجب الملوك بما لا يوافقها تحرك غضبه
بالعطية ولا ينبغي مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن خلافه فان الرياء
ينصل عن الطبع نصول الخضاب عن الشعر ولكن ليتأمل ابن الملك القضية
التي كرهها بعين العدل تظهر له حسنها وذلك ان الملك استعمله على شرابه
الذي هو جامع لذته وجالب طربه ومسرته وراحة نفسه من نصب التدبير
ومشقته ووكل اليه مع هذا حراسة مهجته وحصنه بحفظها في
مجالس خلوته وتوكيل كفاياته في صون شرابه من بلية وآفة يدسها
اعداؤه في جمة الشراب او خلل يدخله على غفلة السكر والاضطراب ولعله
ان يعدل عن الوالد الحبيب النجيب بهذا العمل العلي قدره العظيم خطره لكي ينظر
نفس الوالد الفاضل ان يكل ذلك الا الى مثله فليصرف ابن الملك فكره الى

ما ذكرته

ما ذكرته ليكون ما يظهره من الغبطة من هذه الخطة راجعا الى عقد يوافقه
ومعنى يطابقه ولا يخاف من ذلك بما يبني رفضه ويتبرم منه بما يبعث نقضه
فيتم عليه بما اسره توسم لا يظهر وتكهن الافكار فانه كان يقال الرياء ساتر لا يخدع
الفطن القاصرة ولا يخفى عن النظار الباصرة وكان يقال انما يبسط سلطان ن
الرياء على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب فاما العقل فلا
ينبسط سلطان الرياء عليه لان الاول الاخر قد كاشف مكنون الغيب لا
خصاصه اياه ثم قال حليس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد فقال بهرام اخبرني
عن ذلك فقال حليس ذكروا ان دبا كان يسرح في غيضة ذات اشجار مثمرة وكان
في تلك الغيضة قرود وكان الدب يرى قوة القرود على الترقي في الشجر والنظر ف
لاغصانها وتمكنها بذلك من اجتناء اطايب الثمرات فحدث نفسه بان يصيد
قردا منها فيتمكن ان يجتني له الثمر فصعد شجرة والقى نفسه منها والقردة
تنظر اليه وجعل يتصور ويتخبط ويتلام تماوت ويتخفف وفتح فمه واخفى نفسه
واجتمع القردة لرؤيته فقال لهم حازم منها انه لا يبعد ان يكون هذا الدب

منتصبا خادعا وان الحزم ان يجتنبه ويحذر منه فان لم يكن بد من الدنو منه فهلم
يجمع حطبا ويديره حوله ويضرم فيه نارا فان كان مصنعا افتضح وان كان منبنيا ذل
ضرر عليها في احراقه وانه كان يقال عدوك لضدك وحكم الضد بين التنائي والتباين
والتدابر وكان يقال لا انتظار مناوطيها عدوك الا على تزيق احتراس وتوقي افتراس
ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فربما رتب فيها اشراكا ونصب لك بها اشراكا
وكان يقال لا تغش عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك منه انه لا آلة له لغار
السلاح فما كل سلاح يدرك بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك لما عليه
ما اراد فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال ذكروا ان راهبا كان فذا من
الرهبان وكان متبتلا في قلاية له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد كبر
العبادة وكان النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها اهل الفاقة زهده
في الدنيا وان لصا من اللصوص رأى كثرة ما يختص به ذلك الراهب من الصدقات
فحدث نفسه بان يتسور عليه قلايته وظن انه سيصيب عنده ذخيرة له
من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في بيت تعبده فوجده قائما على

والسراج

والسراج يزهر في البيت فصاح اللص بالراهب استأمن ايها الشيخ قبل أن
ألقي عنك راسك فالتفت الراهب فرأى اللص واذا هو شاب شديد
البنية وفي يده سيف مصلت فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر من بين يدي
اللص الى ناحية من البيت في حائطها طاق فادخل الراهب راسه من الطاق ورد
يديه الى خلفه كما يصنع بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد استسلم وخبا
راسه القى سيفه ووثب نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط
في دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لا يجد محيصا عن الموضع الذي
حصل فيه حتى اصبح فدل الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في
دون الطاق نقبا وجعل عليه طبقا ينقلب اذا اعتمد عليه وغطاه
ببعض فرش البيت فلما قصد الى الطاق هاربا من بين يدي اللص خطر في ذلك الموضع
وتخطاه الى قصده موضعه فلم يضع رجله على الطبق واللص لا يعرف ذلك
ولا يكمل الحزم بالحفظ بل عول على ما ظهر له من استسلام الراهب ولم يدر
انه قد اعد له سلاحا لا يدركه البصر فلما سمعت القردة المثل الذي ضربه لها حاز

مهما توقف

عن الاقدام على الدب وانشرب يجمع الحطب لامراته فاتى غر من القرده لم يكن حاضرا
ذلك الموضع ولا سمع مقالة الحازم فدنا من الدب واصغى باذنه الى فم الدب
ليسمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من عروق الخيزران فربط
طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجر فيجتني له اطايب الثمر ويلقيه اليه
والدب ممسك بالطرف الاخر من الخيزران فلبث القرد بذلك بقيه يومه ثم انصرف
به الدب الى غار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة فلما اصبح غدا الى القرد
فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة يجني له الثمر عامة نهاره ثم راح به
الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد بلغ مناه والقرد باسوء
حال واعظم مشقة يبطل نهاره في خدمة الدب ويبيت ليلته في سجنه وكان
يقال من تعرض لما لا يعنيه تورط في ما يعنيه وكان يقال شهوات الجاهل
من وراء فكرته فاذا انبعثت له شهوة ومر تفكره فيه فيعرف مباديها وعواقبها
وتدبيرها لحكم الراي وفكرة الاحمق من وراء شهوته فكلما انبعثت له
من نافذة لوجهها لا ينصدها شي وكان يقال انما كان ييسر المونه المحتمله للعدو
لان

لان الارواح تحمل ما لا اضعاف ما تحمل الابدان فيصبر الادمي بها عاما وليس
كذلك المون المتحمله للحبيب لان الارواح تتلذذ بها وتخدم الابدان لها قبل ان
القرد تفكر في حاله فقطر له ان يضيعه في خدمة الدب تمنعه من الخلاص
منه فندم على تضيعه في خدمته وعلم انه لن ينجيه منه الا الحيلة فطال
فكرته في ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال اذا كان المملوك
مبتلى الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم لمالكه وان لم يكن بهذه الصفات
فان له فيه شريكا هو املك به من سيده وذلك انه اذا كان متحرك
الشهوة كان منقادا لطاعتها واذا صحت فكرته اعملها في طلب الراحة من
النصب والخلاص من الاسر واقامة الحجج في الدفع عن نفسه واذا سمت همته
انتمى بالغضب والانفة والحقد وتدبر بما لا يريد سيده قبل وكان مما لحق
القرد علمه من طبيعة للدب انه يتظاهر بضعف البصر فكان يلقي الى الدب
الثمر الاخرفيه فزجره الدب عن صنيعه فلم ينزجر وضربه فلم يرتدع فلما
طال عصيانه عليه قال له اني قد سئمت من حركك وضربك فقد جربت نفسي

بامالك لانه لم يستولى بيتك مستمع وكان يقال اذا لم تجد من الخدمة الا من ساء ادبه
فاستخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل على قلبك من المشقة اضعاف ما يحمل
على بدنك فقال له القرد اني لست على ما تصفني به من سوء الادب ولو قبلتني
لسرت حامدا مثل الطحان حين قبل حماره فقال له الدب لجري غير ذلك فقال حكي ان
طحانا كان له حمار يطحن به وكانت له زوجة سوء يحبها وهي تحب جارا لها وذلك
الجار الذي يحبه يبغضها ويمتنع منها فراى الطحان في منامه قايلا يقول له
احفر كذا من مدار الطاحونة تجد كنزا فحدث امراته برؤياه وامرها بكتمانها وكان
يقال من زعم انه يجد احدا في اشياء سره الى غيره فاتهم عقله لان مشقة
الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اقل من مشقة الحذر من اشاعته لسر
المشاركة فيه وكان يقال السران يسلبان الحر كمال الحرية وهما قبول البر وافشاء السر
وشرح هذا ان من قبلت بره فقد اوجبت على نفسك الخضوع لاحسان
برق الانسان وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشائه يلزمك
التقية له وكان يقال المراة موهلة لبيت نعمة وطعام زمه ووالذي به

تدبيره وشبه تسكنه وتثبيره ممن اشركها في امره واطلعها على سره فقد النحق
بجاهلهما اذ ليس في قواها الا لحاق بعالمه فيه ولما حدث الطحان امراته برؤياه
اخبرت جارها الذي تهواه وتقربت بها من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا
ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه فقال الجار للمراة لها كيف
نصنع بهذا المال فقالت المراة نقسمه نصفين بالسواء فينطلق كل واحد منا
بنصفه الى منزله وتفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني
فاذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال فكان بايدينا فقال لها جارها انا اخاف
ان يطغيك الغنى فتستبدلي غيري وانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس في
العالم وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه وكان يقال لا ينبغي
لولدك ولا امراتك ولا خادمك بما فوق الكفاية فان طغيانهم لم يفقدهم حاجتهم
اليك ثم قال لها الراي ان يكون جملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك
واللحاق بي فقالت له المراة اني اخاف منك مثل الذي خفت مني ولست مسلمة
اليك حظي من هذا المال فلا تحسدني على حظي منه وقد الزمتك بالدلالة

عليه وانه كان يقال انما كان العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان
لان الشكر انما يجب لمن تفضل فحق مولاه واما من اعطى الحق اهله فهو محمود لا مشكور
فلما سمع مقالتهما دعاه البغي والشره والحذر من نميمتهما عليه الى قتلهما فقتلهما والقاهما
في موضع الكنز وبغته الصبح فاعجله عن تواريهما فاحتمل المال وخرج ودخل
الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوات ثم اعترض الحفر
والقتيل بين يديه في مداره فوقف فضربه الطحان ضربا شديدا والحمار يتقي
ولا يمكنه التقدم والطحان لا يدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا ونخسه
نخسات كثيرة ثم استشاط غضبه وطعنه بها على خاصرته فمرت فيه
السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء راى الطحان الحفر ووجد امراته فيه ٩
قتيلا فاستخرجها فراى اثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك
المراة والحمار فقتل نفسه فلما سمع الدب مقالة القرد دنا له وطمع فيهما
ضربت هذا المثل عذر الحمار وما عذرك انت فقال له القرد ان بصري ضعيف
واخاف ان يذهب بالجملة فان اتيت ان تنظر في صلاحه فذلك سبيلك

فقال له الدب

فقال له الدب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال القرد ان الاطباء
لكثير ولكن العاقل لا يبسط يده لمن لم يكن من عالميه وان للقردة بهذه
الارض طبيبا تصفه بحذاقة الفقهاء والزهد في متاع الدنيا وابى شروح
العافية من لقائه واستلوح الفرج من لقائه فاجابه الدب الى ما اراد فقصد
به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدهاء فلما بلغا اليه فر الدب
فصعد شجرة وقام الدب تحتها فقص عليه علة علته ورغب اليه في مداواته
فقال له القرد الخبيث دعه يطلع حتى انظر الى عينيه فاوحى له في الخزانة
فصعد فجعل يتامل عينيه ويساله عن ضره فقص عليه خبره مع الدب
وساله ان يفتح له باب الحيلة في الخلاص من يده فقال له القرد الخبيث اني
ساحمله على السهر فاحتل لنفسك بانتهاز الفرصة اذا نام وكن على حذر
من انتباهه ليحيا ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث على الدب فقال له
انه ينبغي ان اعرفك حد اعتلالك هذا قبل ان اكلفك علاج دوائه اذ يستجمل العلم بالدواء
من الجاهل بالداء فاعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت حمومها وتوقدت فطنتها

وفهمها لانها وفرت على السهر دواعيها وجعلت لليل لها حظا من مساعيها
وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب الاعمار وكان يقال من لزم الرقاد
حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في حد الجود سماحة النفس بالنفس
ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح بحياته التي لا يجد لها
كفوا ولا يصيب منها عوضا ثم قال القرد الخبيث للذئب انك لما اخرجت
عبدك هذا عما اعتاده ادخلت عليه الفساد كما صنع بالطائر الذي صيد
لابنة الملك فقال له الذئب اخبرني عن ذلك فقال القرد ذكر ان ملكا من ملوك
اليونانيين كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السوداء فادخلت
عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغذاء والدواء فاشار
طبيبها بان تنقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان مونق وماء جاري
ففعل ذلك بها فرات في ذلك اليوم الذي نقلت فيه الى ذلك العلو طائرا فيه
من كل لون ينزو على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع
من النغم المطربة فارتاحت الجارية لما رات وسمعت من الطائر واستدعت الغذاء
وكان

وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع من الصور الحسنة لانه يحرك الشهوة والطرب
ويستفز القوى وتفعلان فعل الادوية المركبة فانها انجع من الادوية المفردة
واشد فعلا ثم ان ذلك الطائر اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك
فظهر على ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان الغد عاود الطائر الدالية
في مثل وقته بالامس فسرت ابنة الملك بعودته فاستبشرت وارتاحت
واكلت وشربت وانصرف الطائر في يومه كما انصرف في امسه فعاودها
القلق لغيبته وبلغ الملك خبرها في ذلك فامر باصطياد ذلك الطائر
فاصطيد وجعل في قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها واغتذت
وتداوت ورأى الطبيب انتعاش قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم
يعلم بامرها مع الطائر وان ذلك الطائر لبث عندها اياما لا يصوت ولا يطعم
شيئا واضر حبسه في القفص فعادت الجارية الى اسوا حالها وجعلت تذوب
لما نالها لاهتمامها بامر الطائر مرضا الى مرضها وعلم بذلك ابوها فندم على
اصطياد الطائر وكان يقال لا يمكن للمجيد المبادر الى الاجوبة عن المسائل

عن المسائل قبل ان تبدهها وتتفكر فيها وتتفرغ عنها وتعد لدفع ما يمكن ان
يعترض به على جوابه وتكرمه خصيته من المناقضة لاصوله كما انك لا تشبه
الغمر الذي لا يتجاوز مبادي الآراء الى عواقبها ولكن تشبه من يتفكر في الاواخر
قبل ان يجيب عن الاوائل كما تشاور المحنك المتدبر لبطون الامور وظهورها
المطلع على مباديها وعواقبها ⊙ قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت حال الجارية
من الفساد علم ان ذلك لعارض طرا عليها فبحث عنه فاطلع على قصتها مع
الطائر فاشار بان ينصب شباك محيطة بالبستان علوا وسفلا فصنع ذلك على
ما اشار به ثم اطلق الطائر في البستان فلما رجع الطائر الى ما اعتاده والفه
راجعتها صحتها وحسنها وعاودها تغريده وصلحت به تلك حال الجارية ونقهت
من مرضها ⊙ قيل فلما قضى المثل قال له الدب قد سمعت مقالتك ووعيت حديثك
فامرني بما فيه مصلحة عبدك هذا المطيع امرك فقال له القرد انني لارى لك ما احرك في
بساطك
مسرحا من الليل فان ذلك زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك وبهجة لنشاطك
مضاعفا للذة منامك ومساعفا بمصلحة غلامك فشكره الدب على نصحه
وانطلق

وانطلق بعيده الى مسرحه فاجتنى له نهاره ذلك اخبث الثمر فلما جاء الليل اظهر
القرد نشاطا وفرحا واجتنى في اضعاف ما اجتناه ثمرات طيبة فلبث بذلك
صدرا من الليل ثم انكفا به الدب الى المغارة فسجنه بها وغدا عليه لعادته
ولبث القرد اياما ينبسط فيها اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطايب
الثمر على حال الفرح والتبسم تسكن نفسه الى الثقة بالقرد بل تيقن عليه انه
مراي متصنع خادع وكلما تزيد القرد من تصنعه تزيد الدب من الريبة به وانه
ليلة من الليالي اراد الانصراف الى ماواه فجعل القرد يماطله ويقول ها هنا ثمرات
طيبات فاحس الدب لما طبع عليه من الشره والنهمة وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب
نفسه بان يتناوم ليختبر القرد ويتحرطنه به فتناوم وجعل يغط فما درى القرد
ان وثب هاربا فجذبه الدب بالخزرانة جذبة شديدة فانقطع ظهره وهلك
قيل ولما بلغ جلشرعابة هذا المثل الذي ضربه له بهرام امسك عن القول فقال له
بهرام ما ابهجني بقربك واقر عيني بما تفيدني من حكمتك وتعربه لي من امثالك
وتحلوه علي من ملحك ولئن بعثت لي الدنيا ولي الدولة لاجعلنك اول داخل علي

وآخر خارج عني وسأروض نفسي بآدابك هذه مستعينا بالله سبحانه فسجد وجلس ودعا
له بنجح الآمال ثم ان بهرام جور شهر والده ليلة من الليالي سروره وقد نضّد النوار بين يديه
فكان مثل الزرابي المخملة والنجاد المرصعة فتذكر بهرام ايامه عند النعمان وابتهاجه
في الرياض الانيقة وشربه فيها على الازاهير المطلولة الى ما كان يتبعه من مباكرة
الوحوش في مغانيها ومرادها والتفكه في طرادها واصطيادها فاطرق واستولى
عليه الفكر وعلا تنفس الصعداء ابو يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استشفّ
نظر اليه وعلم انه كان بمرأى منه فاسقط في يده ولم يمض الا ساعة حتى نفض الكدر
بشره ونكس راسه فنهض كل من حضره من ندمائه وسمّاره وكانت للملك عادة
لملوك الفرس اذا عبس الملك منهم او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى جالسا
على حال من الخشية والسكون وكان يزدجرد يفهم تطريف الفتيان لطيف الفطنة
حسن الاستراح جيد الذهن فلما رأى حضر ذلك المقام وفطن للامر الذي
ذكره له الملك فان ذلك لما كان من عبوس والده واطراقه في مجلس المسرة تحدث
ذلك الضحاك نفسه ان يحتال الى بهرام ويصطنع عنده يدا فيحتال له بحيلة تخلصه

يخلصه بها من غضب الملك وبينما هو يناجي نفسه بالحيلة في ذلك رفع
الملك راسه الى الضحاك ونظر اليه كأنه يحركه على ان يصنع شيئا يبعث سلوة
له فسجد الضحاك ثم جثا على ركبتيه ثم قال ان اخبر الملك استأذن الملك في
ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه بهرام كالآذن له فقال الضحاك ان
العبد كان في حداثة سنه كلفا بالنساء مفرط الشبق اليهن الا انه كان ملولا
لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امرأة هام بها وتهالك
في حبها وكان يقال من اتبع لحظه هواه ادحضه واهواه ⊙ وكان يقال
كم من عينك على حذر فرب جموح جنى جناه جموح عين وكان يقال ما احوى اللحظ ك
ان يحوم المأمول ⊙ وكان يقال السآمة من اخلاق العامة لا من اخلاق السامة
وكان يقال التنقل من فتاة الى حبيبة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال الضحاك
ان العبد دخل بلاد السند وبينما هو يطوف بعض مدنهم رأى امرأة
لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولين
الاشارات وسحر الطرف ومالت الطرف فتبعها العبد وهو لا يدري موطئ قدمه منه

من الدهش حتى بلغت منزلها وقد خلت ولزم العبد باب منزلها ليلا ونهارا فارسلت
اليه تستعفيه من لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكا العبد الى رسولها
ما يلقاه من الشغف واعلم الرسول انه لا معدل له عن بابها وانه مستميت في
طلابها فلهيت عن العبد مدة ثم اعادت الرسول اليه فرد العبد لها مثل كلامه
الاول فارسلت الى العبد تقول له انني اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت
الى اسعافك واني متزوجتك بشرط الوفاء فان غدرت بي اهلكتك بعد ان
انكل بك نكالا يضرب به المثل فان التزمت هذا الشرط والا فانج بنفسك قبل
ان يتعذر عليك الخلاص ⊙ وكان يقال اربعة ترتفع الرحمة عنهم اذا
نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دايه ⊙ ومن تعاطى ما لا
يشتغل باعبايه ⊙ ومن بذر ماله في لذاته ⊙ ومن قدم على ما حذر من
افاته ⊙ وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ⊙ ومن حذر وبصر فما غدر
ولا قصر قال المصحف فالتزم العبد الشرط واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء
فتزوج العبد المراة وبلغ منها امنيته ولبث معها مدة فزارتها ترب لها

فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها العبد الى منزلها وجعل
يراسلها ويلازم بابها فنفرت منه وشكته الى العرافة فعاتبته امراته على
ذلك وزجرته واذكرته العهود ونهته وازداد لجاجا فلما رات ذلك العجوز
سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه وجعلت تستخدمه في كل مهنة
فما شغله ما هو فيه عن ان هوي امة سوداء فجعل يتبعها في تصرفها ويتعلق
بها ويتودد بها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى المراة التي سحرته وكان يقال
انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المؤدب لان الطبع اصلي وثمرة القوى
الناشية معه فهو املك بالنفس التي هي محله لاستيطانه اياها وكون اعوانه
بها والادب طارئ على المحل غريب به وكان يقال افضل المؤدبين سعيا من رام
من المتادب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه
وانزع عنه من مؤدبه لكن المؤدب الماهر من طلب المتادب بستر اللوم
من طباعه وتعميته والتورية عنه قال المصحف فلما بلغ امراة العبد ما
كان منه اشتد غضبها عليه ثم سحرته فصار حمارا فجعلت تركبه وتستعمله

في أشق الأعمال ويستعمله في أثقل الأحمال فلبث بذلك مدة طويلة ولم يشغله
ما هو فيه من البلاء عن أن هوي أتانًا فاشتد شغفه بها وكان يقبلها ويهواها
وطلبها أشد الطلب ويردعها بالضرب فبلغ من ذلك بلاءً شديدًا واتفق أن المرأة
العبد التي سحرته زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في علو أشرفت منه
على ما حوله وكان العبد في ذلك اليوم قد استأجره شيخ ضعيف البدن كبير السن
فاحتمل عليه أداة إلى فخار في جو القبر ومر به على قصر ابنة الملك فرأى عند القصر تلك
الأتان التي هواها فما ملك نفسه أن نهق وقصدها وفعل ما تفعل الحمير عند
مثل ذلك وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره
والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان والسفلة
يعطعطون من كل جهة والأتان فارة من بين يديه ترمحه وهو يطلبها على تلك
الحال فرأت ابنة الملك ذلك كله فأعجبها وأضحكها فقالت لها امرأة العبد التي
سحرته يا ابنة الملك ألا أخبرك بالعجب مما رأيتِ من هذا الحمار قالت لها بلى
فأعلمي فقالت إنه زوجي وقصت عليها خبر العبد فاشتد تعجبها مما سمعته

وسرت

وسرت به ثم سألتها أن تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فأجابتها إلى ذلك وأبطلت
السحر عن العبد فعاد بشرًا سويًا ولم يكن له همٌّ إلا الفرار من بلاد السند فلما
انتهى المضحك من حديثه إلى هذا الموضع سكت وقد كان الملك بهرجرداشد
ضحكه لما سمعه من حديث المضحك ولما شاهده من حركاته في وقت حديثه فلما
سكن ضحكه عاود الوقار والأبهة أقبل على المضحك وقد أكبره فقال ويحك
ما حملك الآن تكذب هذه الكذبة الشنعاء كأنك ما علمت أنها لحظر الكذب على
رعيتنا ونعاقبها عليه وقد قال الحكماء الكذب كالسموم التي تقتل إذا استعملت
مفردة وقد تدخل في تراكيب الأدوية فينتفع بها فلا ينبغي للملك أن يطلق
الكذب إلا لمن يستعملها في المصالح الكذب في كيد الأعداء وفي تألف البعداء
كما لا ينبغي أن يطلق تملك تلك السموم التي ذكرناها إلا للمأمونين عليها العالمين
لها من المعتدين فقال المضحك أيها الملك السعيد إن هذا المثل تضمن من الحكم
ما يعود بمصلحة المناصبة والتحلي على ذكرها أمر يلزم ستره عن الملك
فأشار الملك إلى جلسائه فقاموا عن مجلسه ثم قال للمضحك هات ما عندك

فقال المضحك ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن
فقال لابنة الاصبهبذ فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما يدل على
صدقك ولا لوم علي ولدنا في ذلك اذ لم يضع من نفسه محبة ابنة حافظ ملكنا
وسيد لعوالينا وسيبلغ ولدنا امنيته بحسن البكر باطلاعنا على امره
فاكتم ذلك حتى ينفذ لعزنا فيه ثم ان يزدجرد اذن لولده ولندمائه بسماره
ومطربيه فعادوا الى مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد
سروره وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام
واخبره بالخبر على وجهه فشكره بهرام ووصله ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام
بنت الاصبهبذ ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقادت لما
اراد منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة
والموادعة فاكرم يزدجرد نفسه وعرف له فضيلته واحسن نزله فلما راى بهرام
نزله اخي قيصر عند يزدجرد استشفع به عنده في رده الى النعمان فشفعه
واذن لبهرام فتحول الى بلاد العرب وكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه وورثه ملكه
قال محمد

قال محمد عفا الله عنه هذه خاتمة سلوانة الرضى وقد عن لنا ان
نذكر ما نختم به بحثها وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث
رعيته بعده وكيفية مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك فيما ذكر المعنو
باخبار ملوك الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل
عن مناهج سلفه من العدل والرافة اجتمع وجوه رعيته من ذوي
الصلاح عندهم فدعوا الله تعالى على يزدجرد وسالوه معا فاتهم منه
فرحم الله ضراعتهم واستجاب دعاهم وبينما يزدجرد جالس في منزله
دخل عليه خاصته فاخبره ان فرسا متوحشا عريا اخرج قام بباب الملك ولم
الناس يسوسونه فلم يجترئ احد على ان يدنوا منه وان الخيل قد نفرت منه فلم يقدم
عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما
عاينه علي اعجابه به ودنا منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته
وجبهته وقبض بناصيته وامر باسراجه والجامه فالجم واسرج فقال
ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتا ولا

وملأ الفرس فروجه عدوا فاعرف الجاين نوحه ويقال بل ركبه يزدجرد
وحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر فاقتحم به فيه والله اعلم اي ذلك كان ولما
الفرس ان الله سبحانه قد اراحهم منه اجتمعوا على ان يخرجوا الملك عن ولد
يزدجرد خوفا منه ان يسن بهم مثل سنة ابيه فملكوا رجلا من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد من الظلم وا عفى
الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة رايهم في تمليكه وانتهى الخبر الى النعمان
فاطلع عليه بهرام واخبره انه عضده وناصره وباذل نفسه وماله في مرضاته
فشكر له بهرام وامره بشن الغارات على اطراف بلاد الفرس مع الاعراب وسفك الدما
فامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستعطفونه
ويسالونه العود الى الحسان المجاورة فلما انتهى الرسول الى النعمان قال لهم انما الحاكم
الملك بهرام افعل ما امرني به فاذهبوا اليه فذهبوا اليه فلما عاينوه ملأ عيونهم
جمالا وصدورهم جلالا فخروا له ساجدين وسالوه العفو والصفح فاحسن خطابهم
وبسط لهم امالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم انه حسن الراي فيهم معول على اصلاح
حالهم

حالهم وانه متوجه اليهم ليتولى اخبارهم عن نفسه واقام الحجة عليهم فلبثوا بو
لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشر كتائب في كل كتيبة الف فارس
من اجناد العرب ثم سار بهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند الفرس
لهم مدفع حتى انتهوا الى دار المملكة فنزلوا بظاهرها فخرج اليه زعماء الفرس وحفظة
دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه القوم
فسجدوا له وقاموا الرتبة فاذن لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذة فحمد الله وذكر
رافته بخلقه ثم ذكر ما سار به يزدجرد من الجور وما فعل الله به ثم اتبع ذلك
بذكر ما امته الفرس لتمليك من ولده يزدجرد فلا يتخوفوه من سلوكه سبيل والده ولا سيما
وقد نشا بين الاعراب الذين يصلحون جيوشهم بمحاربة الارض وساله ان يعفي الفرس
مما كرهوه فانهم لا يملكونه طائعين ولا يقصرون في دفاعه عن ذلك بكل ما امكنهم فلما
قضى رئيس الموابذة كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده وصدق
رئيس الموابذة فيما نسب اليه يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما يتمناه
من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويدفع الرعية من حاله

وأقبحه واحسانه اضعاف ما اذاقهم ابوه من غلظته واسآته ثم اعلمهم انه لا يترك
تراث ابيه ولا يالو التعمد في تحصيله وانه مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك
وزينته بين اسدين ضاريين بحضرتهم وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ التاج والزينة
بين الاسدين فهو بالملك اولى وذكر لهم انه انما يفعل ذلك رافة برعيته وصونا
لهم عن مقاومته ودفاعه وثقة بنصر الله وعونه لما يعلمه من حسن نيته
وخلاص نيته ورغبته في اصلاح الارض واهلها فرضي زعماء الفرس بما دعاهم
من نفسه ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في دفعه عنهم فعملوا
عنه متعجبين من جماله وكماله وفصاحته وابهته ثم عمدوا الى اسدين ضاريين
مجوعين فاخرجوهما الى ظاهر المدينة في قفصين من حديد في عنق كل واحد منهما
سلسلة في طرفها وتد من الحديد فضربوا الوتد في جنبتي مجلسين وجعلوا
بينهما بقدر ما اذا خرج كل واحد من الاسدين فقصد الاخر بلغ اليه وجعلوا
تاج الملك والزينة بينهما وحبست عن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما والى
عنهما وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجا وقد اجتمعت امة عظيمة من الفرس

واجتمع

واجتمع العرب فقاموا بازايهم فخرج بهرام من قبته وقد شد وسطه بمنطقة وجمع
ذيوله اليها فقام بازا الاسدين من الصفوف فنادى كسرى اخرج ايها المتوثب
في ملكنا المتغلب على تراثنا عن ابائنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته من اهله
فاجابه كسرى لانك اولى بالتقديم الى ما اعطيته من نفسك لانك الداعي اليه
المتقدم به ثم انا متطلب الملك بوراثته وانا غاصب فدنا بهرام من الاسدين
ولا سلاح معه فلما راى عظماء الفرس ان بهرام قد عزم على فعل ما بذل من نفسه
ناداه يا بهرام انك متسبب ولا اثم علينا فيك فقال بهرام اجل انا جعلت ذلك على نفسي
والزمته لكم ولا بد من فعله ⊙ فقال له موبذان ان كنت فاعلا فبؤ الى الله
بذنوبك وتب اليه واستعنه فذكر بهرام ذنوبه وتاب الى الله منها وسأله العون
ثم دنا من احد الاسدين فقصده الاسد فلما قاربه راغ عنه بهرام وروغه ثم
وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد فضم الاسد بفخذيه ضمة تبلدها الاسد
وفرج بين قوايمه وثبت كانه لهث وقصد الاسد الاخر فاستقبله حتى الصق
راسه براس الاسد الذي تحته فلم تمكنه السلسلة من زيادة التقدم فنفض

بهرام على أذنيه وحمل فضرب به رأس الأسد الذي تحته حتى سقطا جميعا
ميتين فقام بهرام قائما قدميه وحمد الله على صونه وعونه وأزال الذبول من
منطقته وتناول تاج الملك ووضعه على رأسه وناداه كسرى الذي كان الفرس
ملكوه ليهنئ بهرام الملك بن الملك ما أعطاه الله من ميراث سلفه فكلنا لك
سامع ومطيع ثم ارتفعت أصوات الفرس بالدعاء له وتقدم إليه موبذ موبذ
فأخذ بيده فأجلسه على سرير ملكه وشد عليه زينة الملك وبايعه بالطا
وتتابع زعماء الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة ونزل بقصره وفرق
الأموال في ذوي الحاجات وأهل النجدة وحبا المنذر وشرفه وأجاز العرب
الذين صحبوه فأقرهم على أقرانهم ثم إنه وفى لمعلميه بمواعيد عدله وإحسانه
ولم يزل محمود الآثار حتى هلك وقد دون الفرس له أخبارا عجيبة أودعناها
خبر نادر من كتابنا المسمى أنباء نجباء الأبناء ۝ ونحمد الله الحمد بما هو أهله

السلوانة الخامسة وهي سلوانة الزهد

قال ۝ الله ربنا تقدس اسمه مخاطبا أصلح من استخلفه في أرضه وأعلم من

كلف

كلفه ما يرضيه التي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه
ويخفيه ۝ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ۝ هذا بعد أن خيره أن يكون نبيا ملكا أو نبيا
عبدا فاختار فقد الملك على غنى الملك ۝ قال له جبريل حين اختار
يا أيها النبي هل لك نبوة في حال عبد به تحوي بها المقدم المعلى غدا ۝
أو حال غلبك تجر العدى بين يديه صعقا سجدا ۝ فاختار ما حظي به أجلا

خبر نبوي في زهد الملوك

من حديث ابن مسعود رحمه الله قال
إن ملكا كان قبلكم بينا هو في ملكه إذ أدركه الخوف يريد الخوف من الله سبحانه قال
ترك ملكه وخرج حتى أتى النيل وكان على شاطئه يضرب اللبن يعني الطوب
ويتعيش من ذلك فسمع الملك الذي كان في أرضه بخبره فأرسل يقول له كن بجانبك
فأبى ولحق به فترك الآخر ملكه ثم لحق به وكان أمرهما واحدا إلى أن هلكا قال
عبد الله بن مسعود فلو كنت بمصر لأريتكم قبريهما بما نعت لنا رسول الله صلى
عليه وسلم ۝

منثور ومنظوم من الحكم الزهدية

روي ان سليمن بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين اعجبه ما
صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المومنين هذا سرور لولا انه
غرور ۞ ونعيم لولا انه عديم ۞ وملك لولا انه هالك ۞ وفرح لولم يعقبه
ترح ۞ ولذات لولم يقترن بآفات ۞ وكرامة لو صحبتها سلامة ۞ فبكى سليمن
حتى اخضلت لحيته دموعه ۞ ومما قلت في ذلك ۞

يا متعبا كده الحرص في الفضول وكاده ۞ لو حزت ما حاز كسرى وما حوى واباده
ما كنت الا معنى ومغرما بالزياده ۞ لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفسا فانما الحر عاده ۞ حذار حذار من دار هي شر دار حرامها
سم ناقع وعذاب واقع ۞ وحلالها نصب شاسع ۞ وامل واسع ۞
دنياك يا جار غرور ومتعة مستعاره ۞ ودار كسر وكسب ومغنم وتجاره
وراس مالك نفس واحذر عليها الخساره ۞ ولا تبعها باكل وطيب عرف وشاره
فليس ملكك حتى لا يبغي بشراره ۞ ومن قصيدة لي في مثل ذلك ۞
ابادر الدنيا تحاربها بحزم الا في موادعها ۞ وتستغفر الحليم عن سنن الفقر وتبغي على مخادعها

من رام

من رام ابقاءها عليه فقد حاول ما ليس في طبائعها ۞ ارع يا سيء هوائها يوما
فتنة علينا وارفا بنفسك عن طلابها واسعا تابعها ۞ واشقق عصا بيعة الغرور
لعمري لقد انذرت منذرة ناصحة نصحها لسامعها ۞ موذنة انها مودية لساعة
فالحمد لله من تجانبها حميد الزهد في مطامعها ۞ ومن ذلك ۞

ايك الزهد انما الزهد فرض لفضول تلهي وتطغي وتردي ۞
ثم لا يمكن الزهادة في المقسوم منه فابل في ضروب التعدي ۞
مرحبا بالكفاف عفوا امسا ثم لا مرحبا بحرص وكدي ۞
ما علمنا وقد راينا كبيرا وسمعنا من كان جد بجدي ۞
لا يزال الحريص يسئمه الحرص بنصب من الشقاء ونكدي ۞

قيل ان حرقة بنت النعمن بن المنذر استاذنت بالقادسية على سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت في جواريها وعليهن المسوح
ومقطعات الثياب السود فراى منظرا شنيعا ولم تميز له حرقة من جواريها
لمشاركتها اياهن في الزي وكره ذهاب سلمن عليه فقال ايتكن الحرقة فقالت انا حرقة

ما أناده فقال أتعرفه فقالت نعم فما تكرارك استفهاما إني لأهل الأمس أن الدنيا
دار قلعة وزوال فما تدوم على حال تنتقل بأهلها انتقالا وتعقبهم حالا بعد حال
وأنا أدنا ملوك هذه الأرض يجبى إلينا خراجها ويطيعنا أهلها زمن المدة وزمان
الدولة فلما أدبر الأمر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملأنا وكذا
الدهر يا سعد ما من يوم أحبرهم بخيره الا أداهم بعبرة ولا أسعفهم بفرحة
الا أعقبهم ترحة ۞ ثم أنشدت

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا ۞ اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ۞ تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما الحرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه ۞ دخل عمرو بن معدي كرب
الزبيدي على سعد فنظر الى الحرقة فقال لها أنت حرقة التي كانت تفرش لك الأرض ض
من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي قالت نعم قال لها عمرو فما الذي
دهمك وأذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمتك وقطع سطوات نقمتك
فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة

وتذل

ففيك ذا المنعة ۞ وان هذا أمر كنا ننتظره فلما حل لم ننكره ۞ ثم ان سعدا سألها
عما قصدته له فاستوصلته فأجزل صلتها وقضى حوائجها ولما فصلت عنه
سألنها ماذا لقيت منه فأنشدت

صان لي ذمتي وأكرم وجهي ۞ إنما يكرم الكريم الكريم

روضة رائقة ورياضة فائقة قال محمد عفا الله عنه ۞
قد ذكرنا انشاء الله تعالى من زهد الملوك ما يناسب الخبر النبوي الذي قدمنا ه
آنفا وهو زهدهم في الملك مع تبذلهم له وحلمهم منه ولا نعرض لذكر من زهد
في نعيم الملك ولم يتنزه لاستقلاله باعباء سياسة الخلق بالحق واعباء الزهادة ده
والعبادة ذلك هذا وداود وسليمان في النبيين عليهم السلم وكأبي بكر وعمر
في الخلفاء المهديين فان زهد الغني يخرج عن هذا التبويب ولا يندرج في
هذا الأساليب والله المستعان ۞ فمن ذلك ما بلغني ان معاوية بن يزيد بن معاوية
رحمه الله كان على صغر سنه كان عاقلا عالما نبيلا مستقلا قد ذلل نفسه بالدعة
وعرف اعتزاز الدنيا فعرضت الخلافة اليه وسنه سبع عشرة سنة

نحامر الندم على تحملها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه ولبثوا عشرين ليلة ينا

فيه ويهونه عن اظهار كراهيته فلما راوا انه غير منثن وانه لابد له من خلع

نفسه دعوه الى ان يعهد الى احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد

تبعة عهدها ولو كنت مؤثرا بها احدا لآثرت نفسي ثم انه خطب للناس فذكر

لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته

وانصرف واغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بعد ذلك خمسا وعشرين ليلة

ثم لحق بالله سبحانه ۞ وقال علي بن الجهم في ذلك من ارجوزة له ۞

ثم ابنه معوية المستضعف ... كان له دين وعقل يعرف ۞

ودام شهرا ثم نصف شهر ... وجاءه الموت عن قريب الامر ۞

قال محرر الكلام علي بن الجهم هذا يقتضي ان معوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف

ما ذكرته وانما قال معوية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة ولذلك كنوه

بابي ليلى وهي كنية المستضعف ۞ وبلغني ان السبب الباعث له على الزهد

في الخلافة والنبذ لها انه سمع جاريتين له يتلاحيان وكانت احداهما بارعة الجمال

فقالت

فقالت الاخرى لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت لها الحسنى واي ملك

يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا فقالت لها

الاخرى واي خير في الملك وصاحبه اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه

فذلك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته

مؤثر للذاته مضيع للحقوق مضرب عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت

الكلمة في نفس معاوية موقعا مؤثرا وحملته على الانخلاع من الامرة

روضة رايقة ورياضة فايقة قيل كان عدي بن زيد العبادي

التميمي يدخل ارض الروم رسولا لملك الفرس واقتبس من علومهم ومن

الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس وكان كاتبا له وترجمانا وكان ابوه زيد واليا

على الحيرة وخليفة للمنذر بن ماء السماء وكان عدي بن زيد عند ملوك الحيرة

من لخم لاجل ما ذكرناه في اعلى المراتب فلما حضر يوما عند النعمن بن المنذر

بن امرء القيس بن عدي ملك الحيرة وهو بالخورنق والخورنق قصر قد تقدم ذكره فاشرف

النعمن على ما حول الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل مليا ثم اقبل على عدي

بن زيد ثم قال يا عدي اكل ما ارى الى نفاد وزوال فقال عدي قد علم الملك ان الامر
على ما ذكره فقال النعمان واي خير فيما يفنى ويبيد ثم قفل الى البنية وتنصر وزهد
وساح في الارض ۝ وقيل بل كان معجبا بالزهر المسمى شقائق النعمان
واليه ينسب لانه كان يتبع رياضه وحميه وانه قصد يوما من ايام
الربيع غيضة شقيقة قد كساها ذلك النور والشقيقة رملة مستطيلة
فلما عاين تمدد ذلك النور في منابته وفتق حمرته وخضرة سوقه وتموجه
بهبوب النسيم وتناثر قطر الندى من اكمامه راى منظرا عجيبا فامر فبسط
له بازاء ذلك الشقيقة بساط موشى من الحرير فكانما ذلك روضة مختلفة
باصناف الزهر ونصب عليه قبة من الديباج الاحمر وقد شحنت القاعد
والحشايا والنمارق المساند بما يضاهيها ويجانسها ولبس من الحرير المصبوغ
بالبهرمان وهو العصفر افضل ما يمكنه وجلس في قبته تلك متواجها للشقيقة
وحوله ندماوه وملهوه وعنده عدي بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه
الراح وارتاح ثم اقبل على عدي يخاطبه بما ذكرناه آنفا فلما سمع عدي مقالته

فرصة

فرصة موعظته بما حكيناه وازمع الزيادة في ايقاظه من غفلته فامهله
حتى انقضى اربه من مجلسه وركب غب ساعته على الجياد ثم انتهوا بظاهر الحيرة
فقال عدي للنعمان ابيت اللعن ايها الملك اتدري ما تقول هذه القبور قال لا
قال عدي انها تقول ۝ ايها الركب المخبون على الارض المجدون ۝ كما انتم كنا وكما
نحن تكونون
فلما سمع النعمان مقالته راجعته فكرته السالفة وطرحت عليه الانكسار
ثم مر بشجرات ثلاث وكان منهن واحدة فيها غير جارية فقال عدي للنعمان
ابيت اللعن اتدري ما تقول هذه الشجرات فقال لا ما تقول فقال عدي انها تقول
من رانا فليحدث نفسه انه موف على قرن الزوال ۝ وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي
رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال ۝ والاباريق عليها فدم وعتاق الخيل
عمروا دهرا بعيش حسن امنوا دهرهم غير عجال ۝ ثم اضحوا عصف الدهر بهم وكذاك
وكذاك الدهر يردي بالفتى في طلاب العيش ۝ حالا بعد حال ۝ وقيل ان ذلك
منهما في موطن آخر وانه اشار بقوله هذا الى قبور كما اشار به او اقبل فلما
بلغ النعمان قصره قال لعدي اذا كان السحر فاحضر وان غبت خبرا اطلعك عليه

فلما كان السحر حضر عدي فوجد النعمان قد لبس مسحا وقد أخذ أهبته للسياحة
فودعه وذهب ولم يعلم له خبر وعندي أن المذهب أن السايح هو النعمان بن المنذر
الأكبر ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره . والذي أدركه النعمان
بن المنذر الأصغر شبهه بما حكي عنه شبهها اقتضى تقصيره لا سياحته بل هو
الذي قتل عديا وبقي في ملكه إلى أن قتله كسرى والله أعلم أي ذلك كان وبالجملة
فنحو ذلك قال عدي بن زيد

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور ۞ أم لديك العهد الوثيق من الأيام أم
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير ۞ أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله
وبنو الأصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور ۞ وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور ۞ لم يهبه ريب المنون وباد الملك فبابه
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوما وللهدى تفكير ۞ سره ملكه وما يملك والبحر معرضا
والسدير فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي إلى الممات يصير ۞ ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارتهم هناك
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

روضة أنيقة ورياضة فائقة

حكي أن ملكا من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات فأتته قيمة
ملابسه بثيابه فلبسها فناولته المرآة فنظر فيها فرأى شيبة في لحيته فقال
يا ت المقراض للجارية فأتته به فقص الشيبة فناولها الجارية وكانت
لبيبة أديبة فوضعتها في كفها وأصغت إليها أذنها ساعة والملك ناظر إليها
فقال لها ما تصنعين فقالت أستمع إلى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها
بمفارقة أنك أصبحت العظمى حين سخطها الملك فأقصاها فقال لها الملك فما الذي
سمعت من قولها فقالت شيء عظيم في قلبي أنه سمعها تقول كلاما لا يجترئ لساني على النطق
به لاتقاء سطوة الملك فقال لها الملك قولي على حال الأمنة وعدم توقع ما
لزمت أسلوب الحكمة فقالت إنها تقول أيها الملك المسلط إلى العدد فصبر
إني قد كنت علمت بك البطش بي والعدوان علي فلم أظهر على سطح جسدك
حتى يضعف وحفيت سنتي حتى أفرغ وعهدت أن أنال نبأتي في الأخذ بثأري
منه أو كأني بزخرج فجعل الأخذ بثأري منك إما ما استئصالك وإما
بتنغيص لذتك وتخفيف قوتك حتى يعد الملك راحة فقال لها الملك أكتبي

كلامك هذا كتبته له فتصفحه مرارا ثم نهض مبادرا وأتى هيكلا من الهياكل
التي يعظمونها فنزع عنه ملابس الملك وتزيى بزي نساك الهيكل وبلغ ذلك أهل
مملكته فبادروا إليه وطالبوه بالعود إلى محل ملكه وتدبيره فامتنع عليهم
وسألهم إقالته وتمليك غيره فامتنعوا عليه وهموا بإكراهه فاصطلحوا بينهم النساك
على أن يتركوه في ذلك الهيكل يتعبد ربه ويستنكفي لسياسة مثله من
أمور رعيته ويلي غيره ذلك بنفسه فلبث على ذلك إلى أن هلك. روضة
رايقة ورياضة فايقة بلغني أن ملكا من ملوك الفرس
كان كافرا شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم الغرة وكان إذا ركب لم يستطع
أحد أن يرفع صوته إلا بالثناء عليه والمدح له والشكر لإحسانه وكان له وزير
نصراني يكتم إيمانه ويتحرى وقتا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك إلى الله سبحانه وتعالى
فركب الملك يوما فسمع شيخا قد رفع صوته لبعض شانه فقال للشرط خذوه
فلما أخذوه الشيخ قال الله ربي فقال الوزير للشرط خلوا عنه فخلوا عنه
فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الإنكار عليه في ذلك المقام لئلا

يظهر

يظهر للناس أن الوزير يخالفه فيما يأمره به وسكت ليوهم الناس أن الوزير
إنما أمر بما أراده الملك فلما انصرف الملك إلى مستقره أحضر الوزير فقال له ما
دعاك إلى ما فعلت أمضيت أمري مستبدا من عندك فقال الوزير إن لم يعجل الملك
أريته وجه نصحي وإشفاقي وخوفي عليه مما أتيته فقال له الملك أرني
ذلك فإني لا أعجل عليك فقال الوزير أن يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون
بحيث يرى ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم إن الوزير أحضر قوسا صنعها
للملك بعض خدمته وكتب الصانع اسم نفسه عليها قبلا وأهل غلاما لحضرته
وقال للغلام إني محضر صانع هذه القوس فإذا حضر وأقبلت عليه بالمحادثة
فاقرأ الاسم الذي على القوس جهرا حتى يعلم أن صانعها قد سمعك ثم اكسرها
بحضرة القواس ففعل الغلام ما أمره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها أن ضرب الغلام فشجه فقال الوزير ويحك تضرب غلامي بحضرتي فقال
القواس القوس على اسم الوزير وهي في غاية الحسن والجودة لأي شيء
يكسرها فقال له الوزير لعله لم يعلم أنها عملك فقال بلى لقد أخبرته القوس

بانما عملي فقال له الوزير وكيف تخبره القوس فقال هذا خطي بذلك عليها وقد قراه
وانا اسمعه فصرف الوزير القوس ثم اقبل على الملك فقال له قد اريت الملك توجه
نصحي له واشفاقي عليه مما كان مني وان الملك لما اراد ان يبسطوا على الشيخ
اخبره الشيخ ان الله ربه يخفف على الملك ان يبطش به الشيخ وليس يقوم
لبطشه شي فقال الملك للوزير وهل للشيخ رب غيري فقال الوزير الم يره الملك
شيخا والملك شابا فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك
لا بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير ما بال المربوب يبقى بعد هلاك ربه فقال
الملك للوزير لقد دخلت في كبدي حيرة من غير حاله ولقد علمنا الان انه يجب ان
ان يكون للملك والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه فتدلني عليه فقال الوزير
نعم اني اعرفه فقال الملك فادللني عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير
اما دلالتك عليه فاول ما يجب لك علي واما انا على ان فلتن فعلته فانما
تتبع عبدك الذي يبعثك بجنته ما بقيت ثم ان الوزير تلطف في دلالته حتى
الله سبحانه وشرح الله سبحانه صدر الملك لقبول ذلك فامن بالله سبحانه

ثم قال الوزير اما لربنا خدمة اذا احسنتها اسعدك حظي بذلك عنده
فقال الوزير بلى ان له وظايف عباده امرهم بها خالقه ورضي لهم بفعلها ووعدهم
عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلاة والصيام وغير ذلك من
شرايع المسيح عليه السلم فجعل الملك يرتاض بها حتى يتحقق في علمها ويمدن
على العمل بها ثم انه قال للوزير ما لك لا تدعوا الناس الى الله كما دعوتني
فقال ما معناه ايها الملك ان الناس امة ذات قلوب قسية وهموم قصية
ونفوس عصية ولستا امنهم على دمي ان يقوه لهم بذلك فقال الملك اني
فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته
عني لم تردهم عنه وساجعل نفسي وقاء لنفسه وانهم سيقتلونه لا محالة
فلا تجري الملك عليهم مثلها تعدي ثم ان الوزير اسند على الجدار وجوه ملك
المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها واهل النسك والعلم منها فلما
اجتمعوا اليه في داره قام فيهم خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فثاروا
اليه فقتلوه ثم صاروا الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له

انما الملك ان الملك على مثل رأيه وحبب لعذره فارضاهم بالقول وادهن لهم وصوب
رأيهم في قتل الوزير فانصرفوا راضين عنه وقل ما لبث ذلك الملك ان تبدل ملكه
وتحول الرهبان مكان معهم الى ان توفاه الله عز وجل ○ روضة
رائقة ورياضة فائقة قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد
له في حداثة سنه وبدو امره ولد فسماه بابك باسم ابيه فسار ابن الصورة بارع
الخلق تشغف به ازدشير حبا والزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا
في الحكمة متحليا بالزهادة وسألوه الوزير ان يحرزه ولدا فاقتطعه الفيلسوف
عن ابويه وولي تربيته وتدرجه الى ان اضطلع باعباء علوم الفلسفة وتبوأ
مثوى الزهد ولما سعى ازدشير على ضم كلمة الفرس فتم له المراد واعطاه ملوك
الطوائف القياد واستمر رأي ولده بابك فيما نابه من المهمات وظفر منه باضعاف
امنيته الا انه كان لا يشاهده ولا يكاشفه الا ببغض اليه الدنيا تصغيرا
لعاليها وتعريفا بشؤمها وتخويفا من [illegible] اثمها وكان ازدشير [illegible] الاسرة
يولد لاجل ذلك وكان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا ينكر هونه

وكان يقال

وكان يقال قل ما يتوفر فكر الملك على امر واحد حتى تطول عنايته به على
انفراده وذلك لكثرة ما يحادث خواطره من الامور حتى اذا توفر فكره على امر
واجتمع او شك ان يحكمه فاذا رأيته قد اجتمع الامر وتوفر عليه فلا تعرض له بغيره
فتحول بينه وبين الفرصة التي يقبل ظفره بها ○ نبيل وكان ازدشير متحمل
ذلك الملك شغفا به وثناء الله واثناء عليه فقال له يوما يا بابك اتعرف اباك
فقال بابك اني لي ابوان الملك السعيد ابوين ○ ابا كان علة كوني ○ وابا كان علة
يعني اباه
بقاء وانا بهما عارف ○ فقال ازدشير صف لنا اباك الذي كان علة كونك
يعني مربيه
فقال بابك ما معناه انه ملك ملأ العيون بهاء والاسماع ثناء والصدور هيبة
والقلوب محبة ○ دولة شاملة وقضية فاضلة ○ وسيرة عادلة رحم
اخاف قلوب المذنبين من اجسادها وسيوفهم من اغمادها وامن المفرقين من
السباع الضارية والافاعي الجارية ○ فالاشباح تقلبه وخرمه
والارواح راق ليمه وحمله فقال ازدشير لابنه بابك صف لنا اباك الذي كان علة
بقائك فقال بابك ما معناه انه حكيم عز فضيلة نفسه فكرمها وغني بالحد منها

يصف له تواضع الحكيم الذي علمه الزهد والحكمة

فقال ازدشير أخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه فقال بابك ما معناه انه تأمل
نفسه فرآها ارضا اريضة انيقة بكل خير لطيفة ذات مياه نابعة واشجار دائمة
واثمار يانعة وظلال ظليل ونسيم عليل الا انه الفاها مأوى لحسد الغضب
وغول الجهل وذئاب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات
الظلم وعقارب الحسد فنفى عنها هذه الآفات كلها وحصنها منها فصارت
خيرا محضا لا شر فيه فلما سمع ازدشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد
فيه نابذ له فساءه ذلك ثم اقبل عليه فقال له يا بابك ان الحكمة لا ترضى لمن انصف عقله
أن يكون مقهورا مع تمكنه أن يكون قاهرا فقال بابك ما أجدر الملك السعيد مقهورا
بالصدق لو أراه بالاجابة ولئن اذن لي الملك السعيد ضربت له مثل الرب القاهر
والمربوب المقهور فقال ازدشير هات ما عندك من ذلك فقال بابك ذكروا ان فيلا كان الفيل ... بالوحشي
مكرما عند بعض الملوك وكان ربيبا انيسا اديبا وانه صيد للملك غيره فيل وحشي آخر
فعسر على السواس رياضته وتعذر عليهم تأنيسه فرأوا ان يحملوا مع ذلك
أي المطلف أي الطاعة
الفيل الانيس الاديب ليأنس به ويقتبس من أدبه ففعلوا ذلك به فأراد الانقياد

وتوحشا

للفيل المربى متوحش

وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع لبدنه فقال له
الحمد وان الفيل الربيب قال له يوما لقد جنيت على نفسك شرا واسأت النظر لها
بجهلك ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ولكنه كان يقال العز
باب يحجب الالباب عن صوب الصواب ۝ وكان يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك
لتهوره وفساد تصوره ۝ وكان يقال لا تنجح كرامة لئيم الا باهانة ولا تنجح كريمة
غير خالطها فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي يراد بي فقال يطيب علفك ويستعذب
موردك ويبسط محلك ويوكل بك خدمة يكلؤنك ويراعون شؤونك ويجعل
لبروزك اوقات معلومة منتظرة يحتشد الناس لها فتجلل بالديباج وتبخر
بين يديك الالنجوج والطيب حتى الاحتفال ثم تبرز مكرما معظما لا تعارضك
دابة ولا يهيب عليك الهون بأنه ۝ فقال الوحشي للربيب لاختبرني ما ذكرت
لي فنزع عن توحشه ونفاره ووفى لما يراد منه ولزم دعة وحلم وعظم ولما
أظل يوم الزينة تولى خدمته وتنظيفه وجلل بالديباج وشد على ظهره
سرير من ذهب وصعد عليه المقاتلة عليهم الدروع والخوذ وبأيديهم عدد الحديد

وركب على عنقه دارع بيده كلاليب والسيف فطسته الزرد وشد على
طرفيها قايم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه من عن يمين وشمال وبايديهم
عمد الحديد عليهم الدروع وضربت بين يديه الطبول في الصبح وسار على تلك
الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد الى ماواه قال لهذا الفيل الربيب قد رايت
حقيقه كل ما حدثني عنه ورايت زيادات احببت ان اسالك عنها قال ما
هي قال لها كانت تلك الاثقال التي حمل ظهري قال الربيب اولئك المقاتلة على
سورهم الالات للقتال فاما ذلك الذي شدت به فطستي والذي
صير على طرفيها وما اراد القابضان على نابي والراكب على عنقي فقال له الربيب
اما الذي شدت به فطستك فدرع حصنتها لانها مقتل واما الذي ربط
اليها سيف نضرب به في العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان
عنك الاعدا او يعينانك على الاقدام واما الراكب على عنقك فمدبرك بالوجه
الذي اراد منك ساسه قال الفيل الحتني الامر اذ حملوا اسلحتهم
وكلفتني بحمل مسكني وتوه باسمي وجعل لبسي واني لاري امر لا يقوم خيره
بشره

بشره ولا ينبغي نفعه بضره وتعبه فلاكونن من احرص الحراص على التماس الخلاص
وانه كان يقال ليس بحر من انقاد للذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من
عني بغيره نفسه فقد بسط عليها ضرره واستنبط لها حسرة وكان
يقال اذا كانت الحاجه تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته
فالناس عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا كانت الحاجه
كاينه عن حرمه المعبود والحاجه اليه فاعبد العبيد الملك والمحب
والمنعم عليه لان سبيلا العبودية على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد
الثلاثه وذلك ان الرعيه تستخدم باطن الملك وظاهره في تدبيرها وتاديبها
وصونها من عدوها وعونها على مصالحها وردع ظالمها ونصرة مظلومها
وتامين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما يبعثها والحروب ما يلحقها
في الحروب وجبايه فضول اموالها وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب
تهجها وارتحه عن رفقه ادهو جاهل ام بها مصالحه الملك التي عنه في
صون نفسه وسفيه امره وامضى عجه واذفاع عدوه فلما سمع الفيل الربيب

مقاله الوحشي يشق له الى من صابر الغيرة والتهور وفساد التصور وقال
بحق وانت الحكيم ان الجهل يحجب العيان ويعلل الاعيان وقال الاجل المحظي حوا
ما الخاتم الاعجاب بخطبته واذا العجب يحجب ثم قال الوحشي اني اكافيك
عن نصحك اياي وسعيك لي بان افتح لك باب الحيلة في مخالطة الذين أبصر
بأخلاق الانس وعاداتهم ما اهتدي الى وجه الخلاص منهم وسأتبعك واكون
لك خادما ما بقيت ثم انهما اتفقا على انهما يتظاهران بالاجر وهو داء يصيب
الابل والفيلة في اعمارها فاذا فاما رعدت الخادم ماحي يكاد يسقط فعل بح
بالبحر ويحمل على السبع هوى فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما
واخرجوهما الى الصحراء فسيروهما فلما بعد الفيلان عن العمارة وامكنهما الفرصة
الهرب تداخلا في الفيلة الوحشية فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكرت ت
فلما وعى اردشير مقالة ولده بابك ما طرق سمعه مما يفخر في امره وقد بلغ
من اجابته الى ما يريده منه ثم اخذ امر بابك ما بلغه حتى نحله و
انسواله ومسنود عات خطرته يحمل حر بحاياها وبينه على من رآها احتج

الى على

أتى على اخرها ثم اقبل عليه فقال له يا بابك لمن ترك هذا اتسعه لم تعجب
اليك من نفسك واحرى به منها فقال بابك ان اذن لي الملك السعيد ضربت
له مثلا فيه جواب ما سالني عنه فقال له اردشير هات ما عندك في ذلك
فقال بابك ذكر ان راعي بقر كان يرعى على اهل قرية يحسن لبقرهم السراح والمراح ح
فلبث بذلك برهة طويلة من الزمان وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما
يعرفونه من بركة سعيه ويمن رعيه وكانوا لا يسألونه عن شيء من امر بقرهم التي
استرعوها ثقة منهم به وطمانينة الى امانته وكفايته وكان يقال الموثوق
موثوق والامين بالمودة حقيق وكان يقال الاحسان والامانة يطلقان بكل
لسان فامتن عند كل انسان مقر وكان الراعي ياوي عند المقيل الى صومعة
راهب فيستظل في ظلها ويكثر التاوه ولا ينثر لما يناله من النصب فيها ماثابه
وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامره له رقة فاطلع عليه يوما فقال له
ايها الراعي ما لي اسمعك تكثر [illegible]
حفظ هذه البقرة التي عينها [illegible] المرعى الخصيبة [illegible] ذلك بما

يعجز عنه غيري واحمل على نفسي المشقات في حصوله فقال له الراهب فما الذي
دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح مواها ونفسك اقرب اليك واحق
بسعيك فقال الراعي اني لو لم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والنمو
ما ترى ولقد كانت يوم وليت امرها قليلة العدد كثيرة العجف بكية الضرع
[illegible] منها ولا انما ايا فقال له الراهب لقد حدت عن مسالتي جيده من لم
يولها [illegible] ولم يلق بها بالا الا اني انما سالتك عن سبب حملك على نفسك لاجلها
وايثارك من سواها لاجرها فاخبرني بسببه [illegible] اسالك الان
عما افادك حميد سعيك وسديد رعيك فقال الراعي افادني الحي من البقر
لاني اكل من لحوم ما سقط منها ما شئت واطعم من شئت واشرب من البانها
وغير ذلك من منافعها نفرق الكلب وانتجع بها من الارض حيث شئت فهي
على الحقيقة لي بيدي فقال له الراهب هذا علم راهب كان ذا علم [illegible] عنه
نظر [illegible] الراعي اخبرني عن ذلك فقال الراهب انه كان [illegible] شيخ من [illegible]
بساحته [illegible] كان حسن البناء فتثلمت حيطانه و[illegible] طيب ترابه

ارض

٩٤

ارض لا نبت فيها ذات ماء عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان
ومساكينهم فاعجبه الدير فاوطنه وكان قريبا الدير حقلا معمارا فاصلح
ما سلم من جدرانه الديرة وعمر الارض التي عنده واحتفر سواقيها واجرى ماءها
وغرس فيها صنوف الاشجار وقد دبرت منافع الدير وقصده الرهبان فاوطنوه
وسادهم ذلك السائح واتخذ العبيد والدواب آلة عمارة الارض وانتصافها
اى جعل جميع ما يأتى للدير من [illegible] امره حاكما علم
الى ارض الدير متاجر وما غرس فيها من الكروم والزيتون واللوز شيا كثيرا
فعظمت به المنافع وكثرت الجباية ورغب السائح في جمع الدنيا وحرم السائحين
واتخذ كما انفسنا في اغربه [illegible] وكان يقال المال كالماء فمن استكثر منه لم
يجعل له مسربا يشرب فيه ما زاد على قدر الحاجة غرق فيه وكان يقال
المواساة في المال والجاه عوذة لبقائهما ولما عامل الراهب السائح من عمر
الدير بالحرمان واستاثر دونهم بالمال الاكثر واشكاليه [illegible] القالة فيه واجرا
[illegible] من كل [illegible] واقبلوا اليهم [illegible] فاسوه [illegible]
الانصاف والمواساة فيما بينهم فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي كسبته

لعمار [illegible] كان هو سببا

من كذب واستشعر غضبه ثم مدبني فقالوا بل هو مال الله ولكل واحد
منا فيه حق ولك الفضل علينا بتنبيه وصونه فقال لهم تشغلون مال
من هو فلما جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الف دابة [illegible]
اي قتلوا
والفيلون فاصبحت مصرعة فالاشنع منظرا فاتوا التاج فاخبروه بما حدث
ثم لا يعلمون انه هو الفاعل لذلك فجرحهم وقال لهم انه مالي فلا عليكم منه شي
او ذهب فعلوا التعده فنابوا عليه فاهانوه وضربوه ثم طردوه فخرج من البر
على الحالة التي دخلها فلما حصل بظاهر البر سرح ما فوقها الا زعره وعرسه
فراى منظرا رايعا فنسى الصعد متحسرا على ذهاب شبابه وقوته وريعان عمره
فلما عز عليه طول الايام كانت عاقبته الي مرابلة والانسلال منه على حال هونه
وفاقه وضعف بحق قالت الحكماء الدنيا سبيل الجور ولا تعمر وهم سالكه
مع فارك وقالوا الدنيا جسر من عبره ما عتياد افضى الي قرار سيار و[illegible]
[illegible]
والعاقل من اخذ منها ما لم يستعمل خطها وليس للاستعداد لذلك الا الدايم المكتوم [illegible]

هكذا [illegible]

الحمد

الحشوم والاستكثار منها فبعض ذلك وقالوا ان الخروج من الدنيا مما تنقبض به
نفس الكرة وتلتهب بار رياضة النفس عليه باستشعار الزهد في الفاني العاجل
والاستكثار من العمل النافع في الاجل وقالوا التعزي في الدنيا بضاعة حسرة وباليا
عاد الي سياحته فعلم ما البد
ويوكد غصه اعتبارها ثم ان الراهب [illegible]
ان هلكت ● فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم المثل الذي ضربه له وما تضمنه
تضمنه من الحكم قال له جزيت من ناصح خيرا فقد الان بالفرج على يديك فقد
اوسعني كلامك وسامي القول وحلت عن قلبي صدا الغرقة ● الراهب الراعي
او صف لنفسك في دعوى ملك ما استرعيته او [illegible] والبيت عليه
او كشف لك ما يسعدك من قبح حلك على نفسك [illegible] ما اعرض لك العوا ● ضا
كاملة واغراضا مستحيلة فارود البعر الي ما الكها واعمل في خلاص نفسك الفرج
الصاربه ● والا فالعج الحارثيه ● والكلاب العاديه ● والغربان المحلية ● والنعيم ●
[illegible] ● [illegible] والحق [illegible]
الالم الانوار قال العلما [illegible] ●

King Saud University
Copyright © King

والمرء أن يحشر مع أمثاله في فيه وله من المقال ومن خطه من أمثاله

ثم مضى شعر بلا طائل ۝ مضطرم البلبال ۝ وخرج ما له من فصيح ۝

فساح ۝ ولم يعلم أن طاح ۝ قال عبد الله الفقير إليه الغني به

محمد بن ... ۝ وإلى الحمد لله ۝ قد انتهى

بنا ما أردت ۝ إليه بغيتي ما أردت ۝ وأنا أعوذ بالله من غالب

الإعراب ۝ كما أعوذ به من غالب العجائب ۝ وأستكفيه خطل ...

وأستعصمه من عزوب الجواب ۝ وأستمنحه به إرشاد الخطاب ۝ كما أسأله

به إرشاد الصواب ۝ وأتوب إليه فهو الرحيم التواب ۝

كمل كتاب السلوانات والحمد لله حق حمده

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده

وعلى آله وصحبه وحزبه صلاة دائمة إلى يوم الدين

وكان الفراغ من نسخه في العشر الأوسط من شهر المحرم سنة اثنين وخمسين ۝

نفع الله به صاحبه وكاتبه ... والناظر فيه وجميع المسلمين آمين ۝

مخطوطات

مكتبة المصطفى الالكترونية
www.al-mostafa.com

www.مكتبة-المصطفى.com

Source / المصدر :

KING SAUD
UNIVERSITY

http://makhtota.ksu.edu.sa